

فی کل مقاله ابواب وفی کل باب فصول ومن الله التائید فی ما هو بمنزله الاصول وفیها
ثلثة ابواب فی العلم اعلم ان السبب الکلی الجامع للعالم العلوی والسفلی وافضل ما یقرب الی الله
هو العلم قال الله سبحانه الذی خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن یتنزل الامر بینهن لتعلموا ان الله
علی کل شیء قدیر وان الله قد احاط بکل شیء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائکة واولوا
العلم وقال انما یخشی الله من عباده العلماء وقال هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون وقال وتلک
الامثال نضربها للناس لعلهم وما یعقلها الا العالمون وفی الحدیث النبوی العلماء ورثة الانبیاء
اللهم ارحم خلفائی قیل یا رسول الله ومن خلفاؤک قال الذین یاتون بعدی ویروون حدیثی
وسنتی وفی الحدیث العلوی ان کمال الدین طلب العلم ... وجب علیکم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون
لکم قد قسمه عادل بینکم وقد ضمنه وسیفی لکم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وعن السجاد علیه السلام
لو یعلم الناس ما فی طلب العلم لطلبوه ولو بسفک المهج وخوض اللجج وعن الباقر علیه السلام عالم ینتفع
بعلمه افضل من سبعین الف عابد وعن الصادق علیه السلام من علم خیرا فله مثل اجر من عمل به وعن
الرضا علیه السلام عن ابائه عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال طلب العلم فریضة علی کل مسلم فاطلبوا
العلم فی مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاکرة به تسبیح والعمل به
جهاد وتعلیمه من لا یعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الی الله تعالی لانه معالم الحلال والحرام ومنار
سبل الجنة والمونس فی الوحشة والصاحب فی الغربة والوحدة والمحدث فی الخلوة والدلیل علی
السراء والضراء والسلاح علی الاعداء والزین عند الاخلاء یرفع الله تعالی به اقواما فیجعلهم
فی الخیر قادة تقتبس اثارهم ویقتدی بفعالهم وینتهی الی رایهم ترغب الملائکة فی خلتهم وباجنحتها



۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰

تحبهم وفي صلواتها تبارك عليهم وليستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه
وسباع البر وانعامه ان العلم حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة
الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة
والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فنعوذ
لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى   اعلم ان
الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته
ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما
ولولا ان الله عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمنزلة واحدة والذي يطلب
لذاته كاللذات والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث
انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا
نظرت الى العلم رأيته لذيذا فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والا
خرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء رتبة في حق
الادمي السعادة الابدية والقرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل
اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في
في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف
ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة
الملأ الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك

ولزوم

ولزوم الاحترام في الطباع مجبولة حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة
على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الا
نسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف
تختلف العلوم باختلاف مراتبها فتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله
تعالى الحقيقية اليقينية التي هي اصل كل معرفة واشرفها قال الصادق عليه السلام لو يعلم الناس ما في فضل
معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت
دنياهم اقل عندهم مما يطئونه بارجلهم ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل
في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة
ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون و
يحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم
فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بل ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسلوا
ربهم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم   العلوم علمان علم الدنيا وعلم الآخرة
وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وعلم الآخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم
يقصد العمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد بعلم الدنيا الخوض بعلوم الدنيا وعلوم الآخرة
محمود كله واما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره
وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها
معاني مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته التامات
بعدد الامكانات وبافعاله وحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة
بمعنى النبوة والنبي وبمعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملائكة والشياطين

وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي
وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملا
الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب
القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله
تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى
القرب منه والمقام في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى
غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات
فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها
امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله
سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم
يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه عالم قادر سميع بصير
متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود لذاته ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق في هذه
الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا
ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد من تصقيل هذه المرآة عن هذه
الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها
بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء والائمة عليهم السلام في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي
من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية

والتقوى

والتقوى والفطنة والذكاء وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم
انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو
العلم الخفي الذي اراده النبي بقوله صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم ينكره الا
اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه ومن كلام امير المؤمنين
عليه السلام انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب
الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا
انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق
ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام آخر له عليه السلام قد احيى قلبه وامات
نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته
الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة
بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال عليه السلام اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب
الارشية في الطوى البعيدة وقال عليه السلام تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم
فتح لي كل باب الف باب وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال عليه السلام ما لك والحقيقة قال
اولست صاحب سرك قال بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني فلما اجابه عما سال وقال في رواية اخرى
الله عليه السلام اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي يا كميل بن زياد ان
هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم
على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى

الى ركن وثيق الى ان قال هاه ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصبت لقنا
غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا
لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما
باللذة سلس القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما
الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما
ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله
الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك
خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد عليه السلام انه قال والله لو علم
ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر
الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله
قلبه للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبته الى العلماء اراد
عليه السلام اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل
والاولاد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذر
ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد عليه السلام في ابيات منسوبة اليه

اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا ابو حسن
الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولا
ستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا وعن الباقر عليه السلام الناس

كلهم

كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين اقول ويصدق ذلك قول الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن الصادق عليه السلام ان امرنا مستور مقنع
بالميثاق من هتكه اذله الله وقال عليه السلام هو الحق ان امرنا مستور في سر وسر مستسر وسر لا يفيده الا
الا سر وسر على سر مقنع بالسر وقال عليه السلام هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن
الباطن وهو السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر وقال عليه السلام مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية
ديني ودين ابائي من لا تقية له لا دين له وقال عليه السلام مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر خالطوا الناس بما
يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب
او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان   واما العلم المقصود للعمل المتوسل به الى العلم المقصود
لذاته فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرائع اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب اما
ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا
والعفو والرضا بالاختيار وحسن الظن وحسن المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة
لله في جميع الاحوال فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها
ومعالجة ما ضعف منها حتى تقوى من علم الآخرة واما ما يذم فكخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد
والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة
والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام
والصلف والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب
وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان
العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة

والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين
والوحشة لفراقهم الا لاعانة منهم في الدين والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة
فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الا
خلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا فبقدر حوصلته لا يكلف الله
نفسا الا وسعها واما علم الشرائع فهو العلم بكيفية العبادات المرسومة من الطهارة والصلوة والزكوة
والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال
والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربوا والقرض والقراض والاجارة والشركة والمزارعة
والمداينة والرهان والضمان والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والبر
والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات
والعلم بآداب الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطيب والكلام والمواخاة والمعاشرة
والسفر والحقوق الى غير ذلك فهو ايضا فرض عين بقدر الاحتياج والا فكالاكثر فرض كفاية للفتيا و
والقضاء واما الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرائع فهو ما نتلوه عليك فا
فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون   اعلم ان
كلا من العلوم الثلثة الاخيرة يسمى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين قال
الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق عليه السلام لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله
ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا وقال
عليه السلام ليت السياط على رؤوس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وقال عليه السلام

ان آية الكذاب

ان آية الكذاب ان يخبرك خبر السماء والارض والمشرق والمغرب فاذا سألته عن حرام الله وحلاله لم
يكن عنده شيء الى غير ذلك مما في هذا المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل الدينية
علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات او المعاملات فرضا معرفتها
او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الآن بيان كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتى
اوقعوا الجماهير في التيه ونحن بتأييد الله عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى
معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ياخذون
العلم عنه بما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة قالوا بالاجماع الجزوري في تعيين
الامام وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة
وابتغاء التاويل واختيار المدلول قبل اختلاق الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن ابي قحافة
التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن تبعهم وحزبهم من الذين قالوا بالاجتهاد والراي في كل شيء
فتبدل آراؤهم وتختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وانهم الا يخرصون
وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع في تحصيل
الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم الدينية اصولية كانت او فرعية من القوانين التي
وضعوها والقواعد التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات
واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة
او وسايط وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع
المحكمات في العقايد والاحكام ووقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل واتقاء عما يفضي الى
الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذين لا يعولون الا على النصوص
بالخصوص في كل شيء مسلمين لائمتهم الاخذ علمهم من الله ومن رسوله في كل ما القاه اليهم

شيء مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث
قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما ما نرى من احتجاج
بعض متاخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالطتهم
كما بيناه وجهه في سطور ذاتنا مع احتمال ان يكون بسبب جد ونشر فيهم او لامصلحة راوها وتما
شاة مع مخالفيهم وادعوها لئلا يزعموا ان دقايق العلم ليست عندنا فصار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم
جرت بينهم ثم رسخت فيهم وعلى التقديرين فلا يظن ذلك فاحلوفي منزلتهم العليا ونسبة الاحكام بهم
بالفرقة الاولى حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة بترويجهم مذهب
الحق بمساعيهم الجميلة ودفعهم حبل التفرقة عن كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء
وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهم كلهم الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه
حين تيسر لهم ذلك والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة
ثالثة خاص وعامي وان كنت منها المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما البصير فهو
فهو الذي فهم وذكاء وفطنة قدسية وزهد في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه
عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح
عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويشيده بشواهد عقله الغريزي
ومنهجه المستقيم ونوره بما داده ان يزد على ذهنه المصطفى باعماله الصالحة المرضية وقلبه
منور بنور اخلاقه المهذبة الزكية فان نور العقل لا يحجب وانه لما عرف الشرع وكان الشرع عقل
من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصير كانهما متحدان
وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم
ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولو الالباب ولا تظنن ان خواص المؤمنين الذين امنوا بالله

واليوم

واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل
ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع نور العين
العين مع نور الشمس في الرؤية والى مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار نور على نور يعني نور العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو
نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان يتبين له الحكم بحيث لا شبهة
فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى الله والى امامه
المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا يفتي في مثله بالحكم والبت قال الصادق عليه السلام
اما انه شر عليكم ان تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منا وقال عليه السلام كل علم لا يخرج من هذا
البيت فهو باطل واشار بيده الى بيته فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منصوص ولا
مسموع لئلا يقع الاختلاف فيه كقاعدة حجية خبر الواحد وعدم حجيته على الاطلاق التي
لم يجوز على التنازع فيه قط ولن يجر دليل عنز ذلك من القوانين المسماة عند اهلها باصول
الفقه بل يطلب في كل مسئلة اهمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ورواية ناصة
تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالتشابه لانه المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل
المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا ينبغي تاويله ولا رده الى احد الطرفين
كما يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد في الحديث
النبوي بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها الى الله
والى الراسخين في العلم العالمين بتاويله فكيف يطلب التعيين فيما حكم الله فيه بالتثليث
مع ان في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها امناء عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار المتعارضة
الا بما اشار اليه المروي عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي ينتهي الى التخيير وبذلك

يمحو التعيين من الخلاف والاختلاف والقول بالراي والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا راي ولا اجماع
بل ليس معوله الا على الرواية والدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده ليس الا الاتفاق قدما
الاصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين
ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص موبد له لا النص مستنبط من الاجماع
كما اشتهر بين طائفة من اهل الخلاف والزائغ اليه اشير في كلام الصادق عليه السلام
في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذه
الفرقة فكيفية تفقههم ان ياخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسائط
الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وادخالهم
انفسهم في جملتهم فصارت العوام حايرين بايرين لا يهتدون الى شيء ولا يدرون ايا من اي
فالحزم لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم متعددين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم اياهم
فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنياه فان
افتاه بحكم فليسأله اهذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث احد
من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في شيء بخصوصه وانما
يستفاد منها بالاستنباط وهو مما اجمعوا عليه من غير نص بخصوصه فيه او نحو ذلك سال غيره
حتى يصادف من اجابه من القران والحديث بخصوصه ونصوصه واشار له الى الاحتياط او التخيير
فان فعل العامي ذلك فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدماء الا
ماميين وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى بالشيعة
والامامي والاثني عشري الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى شيء من طرق المخالفين
من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية على وجهه وان لم يشعر بذلك

ثم لا تظنن

ثم لا تظنن ان العلم بصدق نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا بد ان
يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة او تواترها كتواتره والا
فهي اخبار احاد لا تفيد ظنا كالكيف ولو زعمت ذلك فما اراك تستيقن بامامتهم
لان قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل
لم تعرف بعد ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد دائما بنوري العقل و
والشرع واعتضاد كل منهما بالاخر وان في الاحكام الشرعية يكتفى باقل مراتبه مع ان اكثر
الاخبار الاحكامية ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما اطمأنت
اليه النفوس من الاخبار نعمل به وكل ما لم تسكن اليه فنذره في سنبله روي في الكافي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم
من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول
رسول الله صلى الله عليه واله والا فالذي جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه عليه السلام
قال كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف وفي عيون
الاخبار عن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال في اخره تعديله العرض على الكتاب
ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله صلى الله عليه واله وما لم تجدوه في شيء من
هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه باراءكم وعليكم بالكف
والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم البيان من عندنا وقد ورد في
الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار بلغت قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل
على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم
تصدر عنهم عليهم السلام في الواقع وهو قول الصادق عليه السلام من سمع شيئا

من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة
وانقياد لا رأي فيه ولا اجتهاد وقال الصادق عليه السلام احفظوا بكتبكم فانكم سوف
تحتاجون اليها وقال المفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك
بنيك فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم وقال صاحب الزمان صلوات
الله عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله
عليهم وبالجملة قد اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب والتسليم والانقياد ولم يأذنوا
في الاخذ بالآراء والاجتهاد بل نهوا فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من دون
ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل   ومن فضل الله علينا ولطفه بنا
ولله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما بعد امام ظاهرا فينا وان كان
مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل لنا حجة
بعد غيبته سفراء الى قريب من تمام ثلثمائة وثلاثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة
يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معادنها على اطمينان من قلوبهم وانشراح
من صدورهم بقبول دقائقهم ودقيقتهم ومنزلتهم فاغناهم الله تعالى عن تقليد من لا يجوز
تقليده ونجاهم من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول
الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس حتى شذ مسئلة ضرورية لا يكون فيها
حكم جزئي او كلي عنهم عليهم السلام وفي ذلك من وفق قال امير المؤمنين عليه السلام يا معشر
شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب الرأي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث
ان يحفظوها واعيتهم لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق واهله
فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان

ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بآرائهم وضلوا واضلوا اما لو كان الدين بالقياس
لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر عليه السلام من افتى الناس برأيه فقد
دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق عليه السلام انه قيل
له ترد علينا اشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك ان اصبت لم تؤجر وان
اخطأت كذبت على الله وقال امير المؤمنين عليه السلام في ذم اختلاف العلماء ترد على احدهم القضية
في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله
ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم
واحد ونبيهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله
سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى
ام انزل دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء
وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى
عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به وعنه عليه السلام اعلموا عباد الله ان
المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس
لا يحل لكم شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله   واما
علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما
خرج منها فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل
بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مألوفا في العصر الاول وكان الخوض

فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة
وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان الى استئجار البذرقة في طريق الحج
لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو تركت العرب عداوتهم لم يكن استئجار الحراس من شروط
طريق الحج والمتكلم انما يعد للمناظرة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام
فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة
فاما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل
من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي
جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا قال امير المؤمنين عليه السلام من طلب الدين بالجدل تزندق وروي ان رجلا قال
للحسين بن علي عليهما السلام اجلس حتى نتناظر في الدين قال يا هذا انا بصير بديني مكشوف
علي هداي فان كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر عليه السلام
الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلام لا يخاصم الا شاك
او من لا ورع له وعن الكاظم عليه السلام انه قال لعلي بن يقطين مر اصحابك ان يكفوا
عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن الرضا عليه السلام
انه سئل في مكاتبة انهم نهوا عن الكلام في الدين فتأول مواليك المتكلمون بانه
انما نهي من لا يحسن ان يتكلم فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تأولوا فكتب عليه السلام
المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه اكبر من نفعه   انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما آدابا
وشروطا لا بد من مراعاتها وان وجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق لها

لما يجب والا فالجدال بالتي هي احسن مامور به قال ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام ذكر
عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين وان رسول الله والائمة عليهم السلام قد نهوا عنه
فقال الصادق عليه السلام لم ينه عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن اما تسمعون
الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد قرنه العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن
محرم حرمه الله على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال بالتي
هي احسن قيل يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال
بغير التي هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى
ولكن تجحد قوله او تجحد حقا يريد بذلك المبطل ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان
يكون له عليك فيه حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان يصيروا
فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف
منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم
لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله
به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له فقال له حاكيا عنه
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فقال الله في الرد عليه قل
يا محمد يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
الى آخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث هذه
العظام وهي رميم فقال قل يحييها الذي انشأها اول مرة افيعجز من ابتدأه لا من شيء ان

ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي اذا كمن النار الحارة في الشجر الاخضر الرطب ثم
يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر ثم قال اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم اي اذا كان خلق السموات والارض اعظم
وابعد في اوهامكم وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق
هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالي
قال الصادق عليه السلام فهذا الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة
شبههم واما الجدال بغير التي هي احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لان مثله جحد هو حقا
وجحدت انت حقا اخر   وللعلم النافع صفات وعلامات وآداب فعن الصادق عليه السلام
في قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن
لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلام اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا
لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب
باطلكم بحقكم وعن الرضا عليه السلام قال ان من علامات الفقه الحلم والصمت وعن
الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه
من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله
ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة ليس فيها
تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة
لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون عالما
بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر والنواهي جملة بلاحظة
بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور

لهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا باضدادها فكأنه عليه السلام تعريض بالعلماء
السوء والفقهاء الزور وقد ابطل بكل علامة منها مذهبا من المذاهب الباطلة او اكثر في
الاصول والفروع فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة القائلين بايجاب الوعيد وتخليد مرتكب
الكبيرة في النار ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية مذهب
المرجئة ومن يحوي نحوهم من المغترين بالشفاعة ومجرد الاعتقاد وبالثالثة مذهب
الحنابلة والاشاعرة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة
الذين اعرضوا عن القرآن جاهلا وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب علماء الفلاسفة
ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن والحديث والعلم الذي ليس فيه تفهم
كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات فانها ليست بعلم في الحقيقة
وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن مسألة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون
هذا فقال يا ويحك وهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا
الراغب في الاخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وعن الصادق عليه السلام قال
طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه
للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار
متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى
من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل
ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم
ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل

ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا
مشفقا مقبلا على شأنه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا
اركانه واعطاه يوم القيامة امانه وعن النبي صلى الله عليه وآله العلماء رجلان رجل عالم آخذ
بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم
التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له
وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى
وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة وعنه صلى الله
عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله
له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله
وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن السجاد عليه السلام مكتوب في الانجيل
لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه
الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن الباقر عليه السلام من طلب العلم ليباهي به
العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار
ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن الصادق عليه السلام العلم مقرون بالعمل فان
اجابه والا ارتحل عنه وعنه عليه السلام اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم
فان كل محب لشيء يحوط ما احب   ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه اولا من رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح
الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث

فكذلك

فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق
وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وآله بني الدين على النظافة وهو كذلك
ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس ننبهك العقول على ان الطهارة
والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف
الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة
عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها
في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تدخل الملائكة
بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط آثارهم ومحل استقرارهم والصفات
الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله
الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب
الا بواسطة الملائكة   وينبغي للعالم ان يخلص تعليمه لله عن طمع وان يشفق
على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع عن غير اهله فعن الصادق
عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا
الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وان لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر
عليه السلام ما حق الله على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون
وعن الصادق عليه السلام قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا حتى
يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وعنه عليه السلام

اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان تفتي الناس برايك او تدين بما لا
تعلم وعن الباقر عليه السلام من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اقول اريد بالعلم ما يستفاد من الافادات
الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلام وبالهدى ما يسمع من اهل بيت
النبوة كما هو لنا وعلى ملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم في درجات
الجنات وعلى ملائكة العذاب السائقون لنفوس الاشرار الى مقاماتهم في دركات الجحيم
والنيران وعن الصادق عليه السلام اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري
ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السائل
وينبغي لمن اراد العبادة لله سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة
من ماخذه وماخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي وينابيع
الحكمة الآخذين علومهم من الله سبحانه سئل الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه ما طعامه قال علمه الذي ياخذه عمن ياخذه ولما كان تفسير
الآية ظاهرا لم يتعرض له وانما تعرض لتاويلها وعن النبي صلى الله عليه وآله من عمل بغير علم
كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق عليه السلام العامل على غير بصيرة كالسائر
على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والشرع ذلك في اصلاح القلب وتطهيره
بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية ليست مقصودة
بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب
ان ينكشف له المعارف والحقيقة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

الآخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف ولا يتحقق
الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجهه ماخوذا من صاحب الشرع صلوات الله
عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه ثم ان اقتصر في سلوكه على مجرد العمل واتى بالعبادة والمجاهدة
من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تقتضي بالاعليه اذ تنزل النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليها
الوساوس الشيطانية فتشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار
الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة من صاحب الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فيتشبث
بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات
الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة وفي زعمه انها تحقيق
حق نعوذ بالله منه وربما يتعدى به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين
القاصمين للظهر ثم مع ذلك قلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته
ونظر الى سائر الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يبتلى باطنه بامراض نفسانية
وهو غافل عنها غير ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب
كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم
متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه ولا معرفة الا بعمل فمن
عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض معناه
ان كل معرفة تثمر حالا وصفاء في النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل
عبادة تثمر حالا اخرى وصفاء ازيد من الاول وهو تثمر معرفة اخرى سوى الاولى وهكذا
يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من التعب والمشقة

واستقر في مقام الامن والراحة اصلا الى عين اليقين ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في
ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة
اخرى منه وهكذا في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله من علم وعمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم   وقد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال المتشبهين
بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها نبذا يكون انموذجا
لما سواها فعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رايتم
اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البرائة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم
والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا
يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات
وقال صلى الله عليه وآله اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم
يفعل فعليه لعنة الله وقال صلى الله عليه وآله ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها
الايمان وليا من اهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق
وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار و
توكلوا على الله وقال صلى الله عليه وآله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
وقال امير المؤمنين عليه السلام في خطبة انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام
تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف
على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن
هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى

الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال عليه السلام ان من ابغض الخلق الى الله تعالى
لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج
بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى
به في حيوته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال
الناس غار باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر
فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس
قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان ينقض حكمه
من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيا لها
حشوا من رايه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا
لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء
لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا
يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات
لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات
ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام
ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا مليء باصدار ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه
علم الحق وقال عليه السلام الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا
ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف
ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عليه السلام ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم

بالمقاييس تلونهم المقاييس عن الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس
وعن الكاظم عليه السلام من نظر برأيه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما رضينا
في هذا الكتاب مقصودا على حقائق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لما يريد
منه ولا المعلوم الاخر وعن امير المؤمنين عليه السلام اذ قال العلم اكثر من ان يحاط به
فخذوا من كل علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل يأكل من كل زهر ازينه فيتولد منه
جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به اقول وتصديق ذلك في قول الله
سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك
هم اولوا الالباب في العقايد اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها الا بوحي من الله
سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه من المعرفة قال الله
تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فقد ان الاول
بها المعرفة وفي رواية التوحيد وفي الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل
المطبوع الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج فان العقل كالسراج والشرع
كالزيت يمده فما لم يكن زيت لم يشتعل السراج وما لم يكن سراج لم يغن الزيت
وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج
ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا
عقولهم واعرضوا عن رسولهم [illegible] واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا انه ان اعقل العقلاء
نبينا صلى الله عليه واله وخير الشرايع شرعه بما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم

الناس

الناس بالقسط فصدع بامر الله وهدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفته [illegible]
ويوم لحدهم ببيان وبرهان ناسيا عقولهم ونبههم على ادلة وحجج بلغت اليها افهامهم
واتى كل طائفة من ذلك بما يصلح لعقله فمنهم من برهان ومن خطابة وجدال بالتي هي احسن
ومعجز لمن له العجز ايمن ليكونوا على بصيرة من امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة ثم اكمل لهم امور دينهم لم يحوجهم الى اثار السالفين فيما يهمهم ويعنيهم من
امر الدين وليس لقائل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع
وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن
صاحب هذا الكتاب الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيهما الحجة
من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان البراهين هي الشيء وبنيانه وحجته على الذهن
على ما ان يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها
كل من له ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل عليه اهل السلامة من العقل
المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم وتشعب اراءهم وتناقض
اهوائهم ابدا ما لا دلة والخاض الحجج في امور الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل
فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة فيما اثبته الحق دليله واما موجب سوء الادب فلغادهم الدلالة
بما دخلوا فيه من تجويزهم دليلا مجعولا انظارهم في الدين [illegible] في الدلالة على الحق تعالى
عن ذلك افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر
الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان
كل شيء قال امير المؤمنين عليه السلام القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا

عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات الا به لما ثبت ان جزءا دال الى الله سبحانه نبينا
صلى الله عليه واله وقد ثبت انه تولى من بعده الخلافة الثقلين كتاب الله وعترته المصطفين
وما ادى الله في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض به الاخبار من طريقي العامة والخاصة جميعا
على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى ففي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وصحيح على
افتراقهما ان علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي رواية
اني امرء مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر
منهما وعترتي لا تضلوهم ولا تقهروهم فاني سالت اللطيف كتاب الله سبب طرفه بيد
بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي ولا
ولا تقهروهم فاني سالت اللطيف الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري
وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي وعدوهما عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي
وسئل امير المؤمنين عليه السلام عن معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن والحسين و
التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى
حتى يردا على رسول الله حوضه وفي رواية من جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه
قاداه الى النار وفي الخبر المستفيض ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و
من تخلف عنها غرق وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم ما
فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وعن الصادق عن ابائه قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله ايها الناس انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رايتم الليل

والنهار

والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا
الجهاز لبعد المجاز قال فقام المقداد بن الاسود فقال يا رسول الله وما دار الهدنة فقال
دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع
مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو
الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل
وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم
لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف
الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلص من نشب فان التفكر حياة
قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه عليه
السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى
واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد
من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل
احد عن القران الا الى النار وعن الائمة المعصومين عليهم السلام من لم يعرف امرنا من القران
لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلام من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله
وسلامه عليه واله زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته
الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بعد نقل هذا الحديث وهذه العلة
انبثقت على اهل دهرنا شوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت
شرايط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه فمن اراد الله توفيقه
وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله

وسنة نبيه صلى الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه معاراً مستودعاً نعوذ بالله سنة له اسباب الاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمناً ويمسي كافراً او يمسي مؤمناً ويصبح كافراً لانه كلما راى كبيراً من الكبراء مال معه وكلما راى شيئاً استحسن ظاهره قبله وقد قال العالم عليه السلام ان الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوماً ايماناً فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولو الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال صلى الله عليه وآله هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين من بعدي اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقراه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها

سحاب

سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن اهله. اعلم ان الناس في هذه العقايد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليس في درجة واحدة وانما كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع وقال الباقر عليه السلام ان المؤمنين منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلث ومنهم على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وصاحب الثنتين ثلثاً لم يقو وساق الحديث وقال الصادق عليه السلام الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه وقال ايضا لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد احداً فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه وتمييزه ترجمة العقايد ليحفظها حفظاً ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد ثم الايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مبادئها التلقين المجرد والتعليم المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه

هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً وناهيك بالعيان برهاناً فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلاً وان اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة وكان اهلاً لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا ينحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما

تفصل

واما تفصيل متعلقات العقايد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد اشرنا اليهما في الفصل الثاني من الباب الاول. قال المحقق الناصر نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمته لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك مما يشتمل عليه القران من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله فانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في الاخرة فالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمناً فان غلب على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن ان تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك جوابها والشبهة قد يكون جلية والجواب دقيقاً لا يحتمله عقله ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجر ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان من شاطئ الدجلة خوفاً من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالة من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله فمن اشتغل بالخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل

اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى
احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فما امركم الله
به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا تنبيه على نهج الحق وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا اختلاف لاحد في التقوى
والمتقي محبوب عند كل فريق وفيه جماع كل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل الصفا
والتقى من اصول الدين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق
ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجمعت الامة المختارة بان الله واحد ليس كمثله شيء
وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعه لم ولا
كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده
وان القرآن كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان وان احداثه وافناءه غيره
سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد
عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين

فصل اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء من العوام منها ما يقصر عن ادراكه
افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز
علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى ويسألونك عن
الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه
لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من
افشائه ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور
الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا
لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه

في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا
يقلد الدرر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد
يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في
موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك وكذلك ما ورد في الحديث
اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة
لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق
ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون
الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان
وهو النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل قوله
تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فانه تمثيل تاثير قدرته فيهما
وتاثرهما بالذات عنها بامر المطاع واجابة المطيع الطايع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ومنه
التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الجنة والنار ومن الميزان بذي الكفتين الى غير ذلك ومنها
مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا
له فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك
كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد
زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم
والايمان والتصديق ومن هذا القبيل اكثر العقايد   في تفسير الامام ابي محمد العسكري
عليه السلام في قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلام

اذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره
فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم
فان لم يجز لاولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا
وبين علمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة اما من حيث استووا فان
الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم واما من حيث افترقوا فلا قال بين لي يا ابن رسول الله
قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى و
بتغيير الاحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد
الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه
من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا
بمعارف قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز ان يصدق على الله ولا على
الوسايط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول
خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بانفسهم
في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ كانت دلايله اوضح من ان تخفى واشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك
عوام امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام
الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا فمن قلد
من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم
فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام
ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب من القبايح
والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته
مسخرا له تسخير المولى لخدمه وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات وله في هذا البدن جنود
جسمانية هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال نبينا صلى الله عليه وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد
يعبر عن هذا الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه بالخواطر وبالعقل
لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف
بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف تختلف بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي
وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة و
ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال
تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي
ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي   اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد
ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر
الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك
هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة
والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان
بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر
خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط

الجبل الفضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه
ثم اعلم ان الانسان قد اصطحبت في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة
انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط
عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم يتعاطى
افعال الشيطان ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق
وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية
ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال
عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق
والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث
يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل
التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض
الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية
والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب كل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع
في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري و
الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير
وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم

والايذاء

والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن
لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان
يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط
الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل
مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق
الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس
مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء   اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها
صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع
والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور
والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف
وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل
منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخناء وامثالها ولو
عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم
والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل
كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة
الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة
مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء
والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب

صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل
والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار
المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق
وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله
من كان له من قلبه واعظ قلبه وبقوله صلى الله عليه وآله كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية
محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال الله تعالى ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع
بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما
فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب
بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال امير المؤمنين عليه السلام ان الايمان ليبدو لمعة بيضا
فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا
انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون وقال الباقر عليه السلام ان القلوب ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب
الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح

فيه مصابيح

فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيامة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عليه السلام ان
القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك
من نفسك قال ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان   ان القلب مثاله مثال
قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب او مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مرآة
منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة او مثال حوض تنصب اليه
مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الآثار المتجددة فيه في كل حال اما من الظاهر فا
فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان
فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة
الاكل او بقوة المزاج والآثار تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب
من حال الى حال فالقلب دائما في التغير والتاثر من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر
واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها
هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ
الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم والنية والعزم تحرك الاعضاء
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني
ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى وسوسة
وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي
يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان
يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف
الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء

والخوف عند الهم بالخير والفقر والقلب متجاذب بينهما كما قال النبي صلى الله عليه وآله في القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله
ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان
ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية وقال صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبه كيف يشاء كني به عن سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير باستسخار
الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب
الاجسام ثم القلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين قبولا
متساويا وانما يترجح احدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ومخالفتهما
فمهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما
انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد
بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن
ويكون اجتياز الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون   اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان بلمة
الملك فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ
اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على
عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان
ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق
خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف
الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ

واظهار

واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق
فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز
بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان
وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا
خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر   قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك
ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات لحدهما كالعلم واليقين الحاصلين
من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلتان من جانب الشمال وكالنظر
الى آيات الآفاق والانفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل
للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها على
سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها الشبهة والوسواس في القوة الوهمية
والمتخيلة التي على الجانب الايسر ومتعلقات الايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من
العقول والنفوس الكلية لانها مبادي العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة
الشياطين والنفوس الوهمانية لانها مبادي المقدمات السفسطية وكالهما كطاعة الرسول
الحق والائمة الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه و
الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك سبيل
الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشر وكتحصيل العلوم والادراكات التي
هي في الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر
والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين و

والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة
والسفسطة والتامل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دائرة المحسوسات فان الاول يشبه
الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي والثاني يشبه الا
الاناسية المطرودة عن باب الله المتوغلة في لوج السموات المحبوسة في الظلمات المحرومة في الدنيا
عن الارتقاء والمحجوبة في الآخرة عن دار النعيم   اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة فلا مؤاخذة
عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطرارا
واختيارا والاحوال تختلف فيه والاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما
الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه
كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل
على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة
فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة
الطبع فكتبت له حسنة لانه يرجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق
الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب
اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قالت الملائكة رب
ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان
تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وعن امير المؤمنين عليه السلام في قوله سبحانه ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة
فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته

فقبلوها

فقبلوها فلما رأى الله عز وجل منهم القبول علم انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها
وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك
وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به وعن النبي صلى الله
عليه وآله وضع عن امتي تسع خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه
وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وعن احدهما
عليهما السلام ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته ان من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن عملها كتبت له سيئة
وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه
وسئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى به فقال الله
اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم
به وذلك قوله تعالى الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلام
ان الله ايد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه
ويعتدي فهي معه تهتز عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا
رحم الله امرءا هم بخير فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب   في معنى الخلق

وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ومن غير
حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا
سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ

لان من يصدر عنه بذل المال مثلا في النذر ولحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت
ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف بذل المال لا يقال
خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع آخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث
او لرياء فلا بد في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان يصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب
في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه
القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
واما قوة الغضب والشهوة فحسنها في ان يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما يقتضيه الحكمة والدين
واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع والعقل منزلته منزلة الناصح صح
المشير وقوة القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة
ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الا
الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه
تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت
فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك
المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها
يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان
مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان
سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو العدل والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل

اذا فات

اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها اربعة الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وآله
ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب
والبعد منه فينبغي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القرآن
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله
ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو
السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء
على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة
بكل حال ولا في الرحمة بكل حال   اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة
والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان
الاخلاق لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن
كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلقة الباطنة
والثاني ان حسن الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع

والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة
وهو محال فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال الله
تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حسنوا اخلاقكم
وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل من الصيد الى التادب والامساك
والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء
عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء
والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ
من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه
قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان
يصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة
بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما
بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة
قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك
دون القمع بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة
الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان الوقاع لو انقطع النسل ولو
انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وربما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال
الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب

ردها

ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية
وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل
ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء
عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله عليه وآله انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب
لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وربما يستولي الشهوة
على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى
الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها   فقد يكون
اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان وينشأ كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة
والغضب على عقله كالانبياء والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس
على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى
فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك
طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على
افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا
وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي
هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع
ولن يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم

دائماً ومواظبة تنساق معها الى الافعال الجميلة وتتنعم بها وتكره الافعال القبيحة وتتألم بها
كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله جعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك
المحظورات مع كراهية واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة
خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة
الا على الخاشعين وقال النبي صلى الله عليه وآله اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر
على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان
العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن السعادة
فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة
وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى
وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة
على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا وترسخ فيها حب الله تعالى
فلا شيء احب اليه من الله سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح
حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب وهكذا
تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم بها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم واحد
تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلاً قليلاً حتى يأنس النفس بالكسل ويهجر التحصيل راساً وصغار المعاصي
يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يتهاون

بقليل الطاعة

بقليل الطاعة ولا ان يستصغر المعصية فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد
فلكل واحد تأثير وربما يحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهو
قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء فان الطبع
يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً ثم من تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعاً
واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم
وتيسرت له اسباب الشر حتى تعود فهو في غاية البعد عن الله تعالى وبين الرتبتين من اختلف
به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون اعلم ان الله
تعالى اذا اراد بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب
امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا
يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فليطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً
فينصبه رقيباً على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه او يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي كما قيل وعين الرضا
عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه
اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب
العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان
تنتشر على ألسنتهم او يخالط الناس فكلما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به فان المؤمن

مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به
واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله او اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل
ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديباً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب
قيل لعيسى على نبينا وعليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته في مايرد
المساوي الاخلاق من البطن والفرج واللسان اعلم ان الاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرر الاعمال والاعمال
انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة تصلح لان يصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة
وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلا بد من رعاية القلب والجوارح
بصرفها الى الخيرات ومنعها عن الشرور واعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان
ففي الحديث النبوي من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب
الفرج واللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا
عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات
ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم
والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع
استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء
وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء
ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل
البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب
على الدنيا قال النبي صلى الله عليه وآله ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن

صلبه

في الجوع

صلبه فان كان ولا بد فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وآله
لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وآله
افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعاً وتفكراً وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال
الصادق عليه السلام ان البطن ليطغى من اكلة واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض
ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ما من شيء اضر لقلب
المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة لشيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن
وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادات وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها
صفاء القلب ورقته لاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن المعصية والغفلة وذكر جوع يوم
القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذي يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت
القيام والتهجد وتيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل واعداد
الاكل ودفع الامراض الشاغلة عنها فورد المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
قد علمت ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط وما ذكر في فضائل الجوع
ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار الحكمة الشرعية ان كل ما يطلب
الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومي
عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان
المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع
باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ النبي صلى الله عليه وآله في الثناء على

قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله لا يتضرر به فاذا
عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة
ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة
وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا
معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام
والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان ياكل طعاما حتى
يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه وأما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان
لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع
لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان الم النار اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان
الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة فابدهما ولكن فيها من الافات
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا
وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم
عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة
بمن غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل
لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها
وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز منه اوائله بترك معاودة النظر والفكر
والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط هذه الشهوة اما بالعنة او بالضعف الخارج عن الاعتدال او با
عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلا ومطيعا للعقل
والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع وبالنكاح قال
رسول الله صلى الله عليه وآله معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم

فان الصوم له وجاء اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان
على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها
اما للعجز او الخوف او الحياء او المحافظة على حشمته وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ
من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر نعم هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم
فان ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله
تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة
الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة
يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله
رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروف وقد اثنى الله تعالى به
عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وقال الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال النبي صلى الله عليه وآله النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا
فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وأما اللسان فانه
من نعم العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين
الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود
ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم او مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا
شيء الا والعلم متناوله وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان و
الصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء

واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر
ذيل سحوب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان
وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد
السنتهم كما ورد في الحديث النبوي ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا
فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد اطلاق
اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان
اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوائله والحذر
من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وآله من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وقال صلى الله عليه وآله
امسك لسانك فانه صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن
لسانه وقال صلى الله عليه وآله من راى موضع كلامه من عمله اقل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين
عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك
فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد عليه السلام قال ان لسان ابن ادم يشرف على
جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله
فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا الخرس وعن الصادق
عليه السلام النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل قال في حكمة ال داود على
العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت
زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي المصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين عليه السلام المرء

مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك
فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام
في رضاء الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عبادة الانبياء ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين
رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذا بين الرسل والامم
فثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشدها
ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وسئل السجاد عليه السلام عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال عليه السلام
لكل واحد منهما افات فاذا سلما من الافات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله
قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت
ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله بالسكوت انما
ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت
اعلم ان افات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير الماذون فيها وخلف الوعد
والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل و
التحريف بالزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك
مع سياقه الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض
فيها قلما يقدر ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غامض العلم وفي الخوض
خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهمة ودوام الوقار والفراغ
في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة قال الله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس وقال النبي صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من

من لسانه وانفق الفضل من ماله   انما قيدنا الكذب والغيبة بغير المأذونين لان من الكذب
والغيبة ما يجوز قال الصادق عليه السلام كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوما الا في ثلاثة رجل كائد في حربه
فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما
بينهما ورجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم وكذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وورد ان
في المعاريض لمندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها وقال النبي صلى الله
عليه وآله من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة وقال لي الواجد يحل عرضه
وعقوبته وقال الصادق الحق مقال وقد ورد الحديث في وجوب غيبة اهل البدع واهل الريب ليحذرهم الناس
وعن النبي صلى الله عليه وآله أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس
وفي معنى الغيبة خفاء لا بد ان نكشف الغطاء عنه فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في اخي
ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان تذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه
واما الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه
اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله
ولكن بشرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد
به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص
هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدل على
ذلك ما روي عنه عليه السلام ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه
امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم عليه السلام قال من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه

مما عرفه

مما عرفه الناس لم يغتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه
فقد بهته وعن الصادق عليه السلام قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه
مثل الحدة والعجلة فلا وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة
لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط بالمؤمن او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد
الحق وعن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة
وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال وان اغتبت فبلغ
المغتاب فاستحل منه فان لم تلحقه فاستغفر الله له وسائر آفات اللسان مستغن عن البيان
في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة
وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين
او حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث
قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شأن الطين السكون والوقار ومن شأن النار التلظي
والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر عليه السلام
ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت
اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب
عنه عند ذلك قال وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت
قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف
المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته وقال ان في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرني

حين تغضب اذكرك عند غضبي وقال الصادق عليه السلام الغضب مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم
عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان
معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر
اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وطلب الا
نتقام انما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات التي خلقت لاجلها قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة على درجات الثلث
في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها
وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على
الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والجبن والسكوت عند مشاهدة المنكرات
وقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار واغلظ عليهم وانما الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه
الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار
وسبب غلبته قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان خالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة
الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد
امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض الفخر لجهله فمن سمع رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه
بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر على الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب
ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب
والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر

وتستحيل

وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه
اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا
فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول
ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب
والهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته لسبب وعجز
عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران
والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب
الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى
افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول الى متى منك كأنه يخاطب عاقلا واما اثره في القلب
فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار
وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط فينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على
الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب القرب
منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع
من بعض   اعلم ان الانسان ما دام يحب ما يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتأذى منه فلا يخلو
عن الغيظ والغضب جبلة وطبعا فانه مهما اخذ منه محبوبه او قصده بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف
باختلاف الاشخاص وانما المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله

من ابنه اضنافي من معاني يكديه وله قوة يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم من هذه الثلث وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب في غيرها الغضب فيقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا ان قيل انما الواجب التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فيمتنع الغضب بغلبة التوحيد وقد يمتنع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبعا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله وعن امير المؤمنين عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان الغضب يغضب على الحق وان كان غضبه لله هو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ

ضروره

ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الا الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان اشتغل القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهكذا كان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فينطفي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة   قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها والاسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والفخر والهزل والهزء والذل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا والاخلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انك من الرذائل وانما الفخر بالفضائل واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت من هذه الرذائل

وتخلص من الغضب الذي يتولد منها وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا او الوضوء او الغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقال النبي صلى الله عليه وآله ما من جرعة يتجرعها اعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله عزا في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وان يخوف نفسه بعقاب الله احرج ما يكون الى العفو وان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو للمقابلة وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وان يعلم ان غضبه انما يكون من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده وعن النبي صلى الله عليه وآله الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب بطيء الفيء   اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن ليس بحقود والحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان تزيد على اضمار الحسد

في الباطن

في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان تهجره وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك ومنها ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء وهتك ستر وغيره ومنها ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من هذه الآفات ولكن تستثقله بالباطن ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة او ترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم والاولى ان تبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلى الله عليه وآله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبي صلى الله عليه وآله ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال الباقر عليه السلام ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وقال الباقر عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال الصادق عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم عليه السلام الرفق نصف العيش   واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد من نتائج الغضب ثم الحسد من الذنوب المهلكة وكفى دليلا على ذمه قول الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة

اخوة يوسف وعن عمرانه في قلوبهم وما ادخلوا البيت من الرضا بقضائه ثم ما اصابهم من ذلك وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى
لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك
ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه
وليس مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال
صلى الله عليه وآله ثلث لا ينجوا منهن احد وفي رواية قل من ينجو منهن الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم
بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عليه السلام
آفة الدين الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الحاسد مضر بنفسه قبل
ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقايق
العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود
والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود
فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا
ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير
عن الاصل وان عولج   معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه فان لم يحب زوالها
ولا يكره وجودها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها يسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كانت في الدنيا فمباح وان كانت في الدين فمندوب اليها
قال النبي صلى الله عليه وآله المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله

مالا

فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس يسمى الغبطة حسدا و
كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافرا او فاجرا وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين
وايذاء الخلق فلا تضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة وبواعث
الحسد المذموم العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس
وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو
لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك
عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو
المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان
يكون بحب الرياسة التي يبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب
بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله وان كانت النعمة لا ينتقل اليه وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص
واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة فيهتك حجاب المجاملة ويظهر
العداوة بالمكاشفة   هذه الاسباب انما يكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاورات
ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه
فعند ذلك يريد ان يحتقره ويتكبر عليه ويكافيه على المخالفة لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى
اغراضه ولا رابطة بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا
في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من
التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية الاسباب ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد

والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون غيره الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة
ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد
ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم على المقاصد نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف
العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك
حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة
نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت
ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل العلوم
الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة
عند الله ايضا لا ضيق فيها لان اجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا
مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال
هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب
ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر ونقص عنده لا محالة فيكون ذلك سببا
للمحاسدة   اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل
والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود
في الدين ولا في الدنيا بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق
عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى

وكرهت نعمته

وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبعدته وهذه
جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك
غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله
وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل
حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك
تتألم بحسدك وتتعذب بسببه ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا
تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق
النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك
نقدا ولا تزول النعمة على المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق
ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ود طائفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما قدره الله من اقبال
ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله لا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب
ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة واما ان المحسود
ينتفع في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك
الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها
اليه باستقال حسناتك الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة
فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا

فهذا ان ادام اعراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشماتتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم
مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فالحاسد ينبغي ان يكلف نفسه نقيضها
بحكم الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على
كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه
واحبه ومهما احبه ولد الحاسد واحبه فتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه
اولا طبعا اخرا والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني
كما يأتي بيانه في الرياء والكبر والعجب اعلم ان الرياء في العبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله
قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون
وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا
اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وآله ان ادنى الرياء شرك وقال سيأتي على الناس زمان
تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم
خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال صلى الله عليه وآله ان الملك ليصعد بعمل
العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد بها وقال امير المؤمنين
عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله
وقال عليه السلام ثلث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد

في كل امور

في كل اموره وعن الباقر عليه السلام الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل
بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى
ويكتب له رياء وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله
الا ما كان لي خالصا وقال كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله
وقال عليه السلام في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا
الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر
شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وقال عليه السلام ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع
الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت
قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير
من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه ولا باس بالسرور اذا كان المقصود
اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله
فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه ستر الطاعة والمعصية ثم الله ستر عليه المعصية
واظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل باظهار الله الجميل وستر القبيح
عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ستر الله على عبد في الدنيا
الا ستر عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات الى المستقبل

وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية
بما اظهر اخيرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص
من اجورهم شيء وكذا اذا فرح بطاعتهم لله في مدحهم وحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني
قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه
انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع
ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لان يعتقد فيه الورع بل للتحامي عن الهتك ولان
الستر مامور به ويعرف بكراهة ظهورها عن الغير ولانه يتألم بالذم فهو مباح لكونه جبليا ولان الناس
شهداء الله كما ورد ولان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسويته ذمه وذم غيره او لخوف ان يقصد بسوء
او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كالخبر الحياء شعبة من الايمان او لان يقتدي به الغير او حبه
محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس اعلم ان
الرياء بالعبادة انما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع مما في ايدي الناس فاذا
عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله
وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته
من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان
حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فرجح به وهوى الى النار هذا مع ما يتعرض
له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى

به فريق

به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه
واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا
ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله
تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع
في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا قرر في قلبه هذه
الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء
واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه
وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم
ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش
حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق
في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمده به
عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
اكثر ما يقع الرياء في النظر والاكل والكلام والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلوة و
الحج والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات الظاهرة ومن اخلص لله باطنه وخشع له قلبه
ورأى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص
من الرياء والنفاق اذا استقام على ذلك في كل حال او اما الرياء بغير العبادات

فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق
بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا
ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة ذلك وعن الصادق
عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه
فقال عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي
الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوني على ذلك مع ان جده امير المؤمنين
كان يفعل مثله الا انه لما كان في زمان لا يعاب عليه مثله جاز له ان يتحمل بكبره وكان منقبة له
وتعليما وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب
من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب
من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين عليه السلام ليتزين احدكم لاخيه المسلم
كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الصادق عليه السلام الثوب النقي يكبت العدو
وكل ذلك لا بأس به وليس بعجب.   واما الكبر فانه من نتائج العجب والتكبر يتساوى الحقد والحسد او اثره
وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه فقال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو
عليه غضبان وقال الباقر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال الصادق
عليه السلام الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلام في رواية اخرى تسفه الحق

بان يجهل

بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير الناس والتجبر عليهم وقال عليه السلام ما من احد يتكبر او يتجبر
الا لذلة يجدها في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وسأله
ان يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم قال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس
حتى يفرغ الله من الحساب وقال عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن
تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تواضع احد لله الا رفعه الله وعنه صلى الله عليه وآله انه
ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه وآله
انه قال لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وعنه صلى الله
عليه وآله اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك
لهم مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلام انه مر على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه
الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا
فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عليه السلام قال التواضع ان تعطي الناس
ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف نفيس
ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع
ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع
علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف
رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل
عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون

من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال عز وجل
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا يأتين الا
منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله   التكبر قد يكون على الله كما كان
لنمرود وفرعون وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا وقد يكون على
سائر الناس بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فاذا سمع الحق من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر
لجحده كما كان يكون لاكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد يكون بالعبادة
والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم
له سببان احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو
خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة
ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره
ولم يظهر في الخير اثره وعلاجه ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار
ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم ان
حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة
وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله

علماء

في التكبر

علماء اليهود بالحمار والبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى بن مريم ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم
النار وقال الصادق عليه السلام يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العالم
الورع ان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما ان العلم
يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات
وامر غير العالم في حقه مستور وانما المدار على الخاتمة فعليه ان لا يرى احدا هو شر منه ان يقول لعل هذا
ينجو واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن خفي لي ولعل
لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبرى طاهر فلذلك
شر لي لا من فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطتها وبالجملة من يجوز ان يكون
عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فانى سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه
الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو
قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعززه بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء
ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته
فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت انما
انت دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه
القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء
خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال

قذر وان ينظر اليه بالمقت نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكفيه عليه التعزز بجماله فانه وكل
به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه
والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم
دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره
فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى
البول الى الرحم مغتذيا بدم الحيض ثم مجرى القذر ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف
والغسل لثارت منه الانتان والاقذار ويموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار اما التكبر
بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو وجع عرق واحد من بدنه لصار
اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت
في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته
ما لا ينجبر في مدة ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار
في صفة يسبقه البهائم فيها واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فهو ادعى خارج من ذات
الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله يسبقه اليهود وافحش
انه يأخذه السارق والمتكبر بتمكين السلطان بناء امره على قلب هو عليه ان انقلبه فان تغير
عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل   اعلم انه لا يتم الشفاء
من الكبر الا باستئصال اصله من منبته وقلع شجرته من مغرسها في القلب وذلك بان يعرف ربه
وانه لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل

واقل من

بكبر

واقل من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة ويكفيه آية واحدة من كتاب الله عز وجل
فتحت عبرة قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ
والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة من الطبائع
من المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع
كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر
الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية
الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره
الشيء ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة
من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب
جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على
شيء من حاله نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه فانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط
احواله فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة
قذرة تبلى اعضاؤه وصورته وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ثم تصير دودا فاكل [illegible]
الديدان ان تجيء بعد حيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل
منه الكيزان ويعمر به البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد
البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة

مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم
تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير
وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر
واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد ورد
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد
وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الآخرة
وللتواضع امتحانات يعرف بها تواضعه فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع فانه قد
قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت
وعدها ثم المحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب
الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل   واما العجب فهو استعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خائفا على زوالها مشفقا على
تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله من دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف
الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه سمي ذلك
ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان
استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعالى في
معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد

يعجب الانسان

عجب

وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بما هو مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا وقال النبي صلى الله عليه وآله ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال
النبي صلى الله عليه وآله اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك
وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال الصادق عليه السلام
ان الله تعالى علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب ابدا وقال ان الرجل ليذنب
الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما
دخل فيه وعنه عليه السلام قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسأل عن صلاته وانا
اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك فقال ابكي حتى تجري دموعي فقال
العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن الباقر عليه السلام
قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق
وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق
في الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي صلى الله عليه وآله قال موسى لابليس اخبرني بالذنب
الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه
وقال قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين انهم لا يعجبوا باعمالهم فانه
ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلام انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات
منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن
على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعمله

وهو يدري بانه لذو العجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى بالتلبس والدعوى بما ليس له حق كاذب
وان خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير وتنبيه على نفسه ليكون
الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس. العجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل
وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق
ولا بد من ان يثمر. اعلم ان آفات العجب كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما
ذكرناه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعضها لا يذكرها ومنها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد
في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها
وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان
اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد
من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله
وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له على الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه
ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الا
ستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما
يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح
ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور
القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى
الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه

انه قد فاز

قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه. اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب
التي يتكبر وعلاجه فيما ذكرنا في الكبر بالكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له
بجهله وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلك الامم اذ افترقت
فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم
وهو ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي
الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين
للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد
سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده
وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة
نبيه او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان الادلة الشرع والعقل وشروطها
ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب
والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض
الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها
ولا يسمعها ويكون يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق
فيما اخبر به ويتبع الهدى لائمة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم ويؤمن بجملة ما جاء به
الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب الملاهي والمعاصي والشفقة على المسلمين
وسائر الاعمال المرضية. ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض

المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات
فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي يعجب به اما ان يكون يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه
او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه
من جهة غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني فينبغي ان يتأمل
في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم
ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه
بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه فآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة
فان قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فيقول هو فيقال فالحب والعبادة
كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون
الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن
لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان
كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده
فانه هو الذي خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم
والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك
مستبدا باختراعها من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة
ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم

يخلق القلب

يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدرج في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خلق الكل ابتداء واوجد
عملك وقد غلطت غلطك فان تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب
كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب
بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات
وزواها عنك وصرف عنهم دواعي الخير وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر
لهم الشر فعل ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم وروي ان
ايوب على نبينا وعليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك
على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب اني لك ذلك فاخذ رمادا فوضعه على
رأسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وآله ما منكم من احد ينجيه عمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع
لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها

في ذم الدنيا والآخرة ادرجها وفيها خمسة ابواب

في حصر الدنيا
والآخرة فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى
دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب
فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع
والعمل الصالح فهو من الآخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يلتذ
بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى

عنه من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذه من
الدنيا اصلا بل نعدها من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع منها
لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام
الليل بل نقول ان من جملة العمل الصالح الذي هو من الآخرة التعرض للرزق قال النبي صلى الله عليه وآله
العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلى الله عليه وآله ملعون من القى كله على الناس وقال
امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله عز وجل الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا
تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود
فالان الله له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة
وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال السجاد عليه السلام الدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال
الباقر عليه السلام من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله
عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق عليه السلام الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال
عليه السلام في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي فسيأتيني قال
هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وقال عليه السلام ان الله يحب الاغتراب في طلب الرزق وقال رجل
والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي
واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة وقال ليس منا من ترك دنياه
لآخرته ولا آخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها
وعن محمد بن ابي حمزة قال رأيت ابا الحسن عليه السلام يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت
فداك اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني ومن ابي فقلت ومن هو فقال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين
والمرسلين والاوصياء والصالحين   اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا
بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه
الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات وهو ورد في الخبر
ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء من قبل رجليه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب
فهما يوصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة
فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت
العوائق تعوقه من الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه
وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت
معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع
اليه وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الآخرة هو
المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا
ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال
الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة
اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان
اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الراغب
في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين

[margin: كانت الصلاة ... [illegible]]

وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في
عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله
حلالها حساب وحرامها عذاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد
على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب اليم وقس به
حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بالسعادات الدنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات
مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات
سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الازمان والدهور دون غاياتها وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام وضع رأسه على حجر
لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان على نبينا وعليه السلام
في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشق ولهذا زوى الله تعالى
الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله فكان يطوي اياما ولهذا سلط البلاء والمحن على الانبياء والا
ولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد
الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به وعليه
وقد ظهر بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا   فظهر
مما ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار
قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل

في قوله

في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي
منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
والله عنده حسن المآب فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب
وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد والمحب المستهتر ويدخل في هذه العلاقة
جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب
الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان المذكورة والعلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها حيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب
الحاجة اليها واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشتغال الدنيا وانما استغرقهم جهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة
فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها وكلما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا

فيما ورد في ذم الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله
اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها
لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في
مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها
حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها

الاكباد ثم حرمتهم من السعادة ابد الآباد فهو على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون
بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينصرون والآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الآخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها
وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجا لغيره مما لا يحصى فعن الصادق عليه السلام قال مر النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح
خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا
لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله
صلى الله عليه وآله بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم
يساو درهما فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله
وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في طلب الدنيا اضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف
فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام الى بعض اصحابه يعظه اوصيك
ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى
الله عز وجل قوي وشبع وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل
الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب

الدنيا

اسك مقطوع الاذن

الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة
يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا
رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع
وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر
فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل
غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم
غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون
فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وقال امير المؤمنين عليه السلام في صفة الدنيا
ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى
فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته
ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت
مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء
الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض
بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله
عبادا كمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى اهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة

وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما
الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم
واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر
فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن
علي بن الحسين عليهما السلام انه سئل اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله
تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله
به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين
قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة
لهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به
اليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا
وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن
كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا
دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلام انه قال لجابر يا جابر من دخل قلبه صافي
خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام
اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها
ولم يامنوا قدومهم الآخرة يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة
وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم

ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق
قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير
الدنيا والآخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى
المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط
القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو وقال جعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجد الرجل حلاوة
الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق
بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وعن الكاظم
قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى
بالآخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وعن الرضا عليه السلام قال قال
عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على
ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم   وعن النبي صلى الله عليه وآله لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال
صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال صلى الله عليه وآله يا عجبا
كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه وآله الهيكم التكاثر يقول ابن آدم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وقال صلى الله عليه وآله من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع

نظم

عنه ابدا وشغلا لا يفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال عيسى من آثر
لتلامذته بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
واوحى الله تعالى الى عيسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها وقال عيسى
على نبينا وعليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله
ويل للمغترين كيف اريهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبح والدنيا
همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا
ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة
لمن هي قال لمن طلبها وقال الحكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر
منها قلب من يطلبها   ولنذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وقال النبي صلى الله عليه وآله الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال صلى الله عليه وآله
في قلة ما بقي من الدنيا بالاضافة الى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي
متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلى الله عليه وآله ما الدنيا في الاخرة
الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وكتب امير المؤمنين عليه السلام
الى سلمان رضي الله عنه مثلها فقال انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما
يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر
ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور شخصته عنه مكروهه والسلام وكان الحسن

صفة الدنيا

الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق
وعن الباقر عليه السلام في حديث جابر ما الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك
فاستيقظت وليس معك منه شيء قال اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم
بالله كفيء الظلال وعنه عليه السلام قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على
نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن الصادق عليه السلام مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما
شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا وعليه السلام كوشف بالدنيا
فراها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم
قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف
لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر وقال عيسى عليه السلام
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا
وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات
بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه
فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا
ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض
الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير
كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه متلذذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف
باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان

الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو
لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد
انطباق هذا المثال على الممثل له فنسال الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية
في ذم حب المال اعلم ان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن
الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة
منها فان فقد فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي
لا تكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها
من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين
من العلماء الراسخين ثم المفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع بما في ايدي الناس
وتشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق وللواجد حالتان امساك وانفاق وللمنفق حالتان
تبذير واقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما
اموالكم واولادكم فتنة وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه وآله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت
الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل
المسلم وقال صلى الله عليه وآله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك مال
قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه

احب ان يتخلف معه   واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية
الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج
والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون
وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة
الابد وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المذموم وما كانت
الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم
الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت
آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
اعلم ان مثل المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائلها
وفوائدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية
ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتها
لكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلاثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة
على عبادة والثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة
الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب واما المروة فنعني بها صرف المال الى
الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها مما يكتسب به العبد الاخوان والاصدقاء
ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة
وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام

من جملة الشرائط الفقر الفاقة في صيانتها واما وقاية العرض فتعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب
السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما الاستخدام فهو ان الاعمال
التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك الآخرة
بالفكر والذكر الذين هما اعلى مقامات السالكين النوع الثالث ما لا يعطيه الانسان الى انسان معين
ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير
ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية
فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر
والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب
واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة انواع الاول ان تجر الى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز
قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر وبها كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته
اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم
ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني ان يجر الى التنعم
في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة
كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا
لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم
الشبهات ويخوض في المرآة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر

لم تتنعم

له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله
في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة
الى الخلق تنور العداوة والصداقة ويترشح عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة
وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال
والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو ان يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى
على نبينا وعليه السلام في المال ثلث آفات ان يأخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل
ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة
الفلاح ومحاسبته وخيانته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج
وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره
في العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل
النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر
عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه او سنته في سلامة
من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب
في دفع الحساد وحفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه
سموم وآفات   اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت
الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف في تقصير

الامل فان تشوقه الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بذل الطمع وذل الحرص
وقلة القناعة وجرة الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي
على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما
ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان
منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل
ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال صلى الله
عليه وآله طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم
القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا وقال ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال انما الغنى غنى النفس وقال
ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
وقال امير المؤمنين عليه السلام ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وان كنت
تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال الباقر عليه السلام اياك ان تطمح بصرك الى من هو
فوقك فكفى بما قال الله لنبيه فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله فانما كان قوته الشعير وحلواه
التمر ووقوده السعف اذا وجده وقال الصادق عليه السلام ان الله يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه
وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني وقال عليه السلام
كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا في معيشته وقال في مناجاة موسى يا موسى اذا رأيت

الغنى

الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته   لا غاية من غائلة المال الا بالمحافظة على امور الاول ان يعرف
مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا بقدر حاجته والثاني ان يراعي جهة
دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة والثالث ان
يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي الحديث النبوي ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله
في حقه ولا يضعه في غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ
ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره
وجود المال قال امير المؤمنين عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو
زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد فان قيل ايهما افضل الغنى بنية الاستعانة
على العبادة ام الفقر بنية التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان
كان الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به وذلك لان
فضل الفقر وخيرية الغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده فان تساويا فيه تساوت درجتهما
الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه
دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به فقده فليجرب نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبياء والاولياء واذا كان ذلك عالما وبعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل
لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف غالبا وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته
وعباداته فان حركات اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور كما مر

ولا يكون تاثيره في اثارة الاشر في قلب فارغ من غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول بالهوا ورد
في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر ان لا يملك شيئا البتة قال الـ
الصادق عم آ في كلام له مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صم وآله
اوقية من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسئله فلم يكن
عنده ما يعطيه فلام السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رقيقا فادبه الله
تعالى عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا يقول ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت
من المال قال ثم من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان الفارسي رضي الله عنه وابو ذر رحمه الله فاما سلمان
فكان اذا اخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك
تصنع هذا وانت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم
على الفنا اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا
هي احرزت معيشتها اطمانت واما ابو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها
اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او رأى باهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور او
من الشياه على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسم بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم
ومن ازهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا
لا يملكان شيئا البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم
واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي عن آبائه عن رسول الله صم وآله قال يوما ما عجبت من شيء

كيف

كيف عجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق
الارض ومغاربها كان خيرا له وكل ما يصنع الله به خير له ثم ذكر انه لا خلاص من تبعة ظهرها
الدنيا وغوائلها فيها وهوان لا يريدها بقلبه الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى
فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد الى العلماء
ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الآخرة من نصيب وقال النبي صلى الله عليه وآله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ
عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في
الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس
يحبك الناس وقال من اراد الله ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا
والزهد ثلاث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير عذاب الآخرة وهذا زهد
الخائفين والثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين والثالثة
وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار
احكامه ينقسم الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عم الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله
من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض
لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابدا هاربا من الآفة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار

الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على عاجل
والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة وسئل الصادق عم عن الزاهد في الدنيا
فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا باضاعة
المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله وقال امير المؤمنين عم
الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل وقال عليه السلام الزهد
كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم
يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري انه تمام معناه اعلم ان
من ثمرة الرغبة في الدنيا البخل بالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان
كان موجودا ينبغي ان يكون حاله السخاء واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل
من اصول النجاة ومنه عبر النبي صم وآله حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض
فمن اخذ منها غصنا قادة ذلك الغصن الى الجنة وقال قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي
ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جبل الله اولياءه الا على السخاء
وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا
عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر اقاله وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال
السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وارفع
درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون

ويؤثرون

ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صم وآله ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته
وآثر على نفسه غفر له وينبغي للفقير ان لا يمتنع من بذل قليل ما يفضل منه فانه ذلك جهد المقل وفضله
اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي صم وآله درهم من الصدقة افضل من عشر من مائة
الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق بها واخرج رجل
درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف درهم
واعلم ان الاحسان ما لم يحيث يجب البذل على البذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط
هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صم وآله الا بالسخاء وقيل
له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو
ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع
له فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب
صرفه اليه شرعا او مروة وعادة وواجب المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح
من الغني المضايقة ما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار
ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة الى غير ذلك
وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال وفي مقابله السخاء
والجود في ذم حب الجاه اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة
عظيمة وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال النبي صلى الله عليه وآله
حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا
في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس باتباع الهوى
وحب الثناء وعنه صلى الله عليه وآله حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه
وعن امير المؤمنين عليه السلام تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار
وتغيظ الفجار وقال الصادق عليه السلام اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت
النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عليه السلام ملعون من ترأس ملعون من هم بها
ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي صلى الله عليه وآله رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره
لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه صلى الله عليه وآله ان اليسير من
الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا
قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى
المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه
ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوسل باستعمال اربابها الى الاغراض والمقاصد وكما ان
يكتسب القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات
وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده في
درجة ذلك الكمال عنده وليس بشرط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا
عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقياد القلب حال

للقلب

للقلب لاحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء
والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه
صاحب الجاه اعظم لان مالك العبد يملكه قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب
الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة
له فيعتقد ما يعتقد حسن من كان له تذعن له قلوبهم ويعتقد واذعان القلب يكون قدر تسخير ارباب القلوب
ويعتقد قدرته يكون فرحه وحبه للجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت
عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده
وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم
في جميع المقاصد ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من وجوه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من
التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال
ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال
اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال في معرض
التوى والتلف اذ يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار
كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما
تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه
والثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت
لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره

واستطار في الاقطار ما قنصت القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري
من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر
على استنمائه الا بتعب ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار
الخزائن وراء جميع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه
لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او يحبوه على غرض من اغراضه فله سببان احدهما
جلي والآخر خفي يدق عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي
في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا الغواصون اما الجلي فهو دفع الم الخوف
لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال
الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم
الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته
على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى
الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة
من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله
موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو
عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية

التوحد

التوحد بالكمال والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت النفس عن منتهى الكمال لم يسقط شهوتها
للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته
ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته فصار الاستيلاء
على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهواته فلذلك
طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة اعلم   اعلم ان الكمال الحقيقي
الذي يقرب من متصف به الى الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله
وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص عن اسر الشهوات
وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب
واما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العربية وتفسير القرآن والفقه والاخبار ومعرفة
طريق تزكية النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهي من حيث انها وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية فالابدية منه
بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما حقق
في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه
وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم
وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل بهما الى المطعم والملبس وذلك الى
قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي

ينقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت اذ قدرته على اعيان
الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم
في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى
وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال هو الكمال فلما اعتقدوا الكمال في ذلك احبوه ولما
احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله
ومن ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات التي تبقى كمالا للنفس والمال والجاه وهو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله
الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية
وكلما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكلما لا يقطعه الموت فهو الباقيات
الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا اصل له وان من قصر
الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي
اعلم انه كما لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة
مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يباع
به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع
عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه
لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به رفقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون له في قلب

استاذه

استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به وكذا حبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه
ما يحمله ذلك على دفع الشر عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في
هذا يفضي الى انه لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في
داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء
الا انه لا يوصف بحبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه
بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية
على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور واما ان يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه
حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته فهو مباح ايضا لان حفظ الستر على القبائح جائز بل لا يجوز هتك الستر
واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي من السلطان
عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب   واما حب المدح والثناء فله اسباب الاول وهو الاقوى
شعور النفس بالكمال فان النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر
نفس الممدوح بكمالها فيعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير لا يجازف في القول وهذه
العلة بعينها تقتضي الذم ايضا ويكره لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب
المادح ملك للممدوح وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله
لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر من تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر
وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد

قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملاء
والسبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع
واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد
فيعظم به الالتذاذ وينقطع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح ليس
يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار
لسانه الى النطق بالثناء   اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا
بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق
واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها
الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين
وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب
المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق
وعلاجه العلمي ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم
ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الارض والى خمسين
سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين
له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي
والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها
ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده واما اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا تمتد نورها

الى مشاهدة

الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة الى غيرها من الآيات فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم
بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود
مقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد
تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى
على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد
ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه
فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة
واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل
فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال عن الناس
والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو من حب المنزلة التي ترسخ
له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا للجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت
بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما
توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى
كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يكسر حب المنزلة في قلوب الناس
الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب
عنده وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن

لا يخلو من ذلة او علة او قلة الى غير ذلك وحب المدح كحب الجاه وعلمه بان الصفة ومرة وابا حدو نفعا
وضرا وعلاجه علاج حب الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح بها ان فقدت فاستهزاء وان وجدت فالدنيوية كالمال
والجاه والدينية موقوفة على الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذموم بها ان وجدت فتبصير
للعيوب فينبغي الفرح والشغل بالازالة وان فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله تعالى والترحم عليه حيث
اهلك نفسه كما قال النبي صلعم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا رباعيته والانسان يفرح
بمن يشم علاوة وهو يخفى علوة نفسه فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد
فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتبيين له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة
اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الجاه واذ سيقت اليه حسنات لعله ينتفع بها فعسى ان يكون جبر
العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهي ان يستوي
عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة
هذه تلك الصعبة العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل
في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن
اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء
امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي صلعم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى
واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلعم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني ولتمثل للغرور مثالا

للايضاح

للايضاح اما الغرور بالحيوة فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة النقد خير من النسيئة والدنيا نقد
والاخرة نسيئة فاذن هي خير ولا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة
شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق الله في قوله ما عندكم ينفد وما
عند الله باق وقوله والاخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب الا متاع الغرور
واما بالبرهان وهو بان يعرفوا فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما
ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر
كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا
المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا
حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي
بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة
في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة واما قولهم ان
اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ
اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه
في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والمريض في مرارة الدواء على يقين وفي
الشفاء على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على

شك وكذلك الحزم دأب العقلاء فمن شك في الاخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام قلائل
وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم
ايام حيوتي وان كان صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق واما الاصل الثاني وهو ان
الاخرة شك فهو ايضا خطاء بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان
والتصديق للانبياء والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبياء والاولياء اذ كشف لهم حقيقة
الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم
انه ان كان لله معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله من قول الرجلين
المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا
قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة
الاخرة وينظرون الى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون
بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقياسهم انه قد احسن الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في
المستقبل ايضا والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان
فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل
على الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمي عبده الدنيا

وهو

وهو يحبه كما ورد في الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة دليل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما
بالتقليد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فلما نسوا فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه
الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اعلم ان فرق المغترين
كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام
ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك
الاهم ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل
بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورا على الوسواس في النية وتصحيح مخارج الحروف حتى
الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت ثم لا يحضر قلبه ومن عجيب امره انه اذا اتعب نفسه في تصحيح
النية ثم يغفل عن اعانة هذا الجهل ومنهم من اغتر بقراءة القرآن فيهذه هذا وربما يختم
في اليوم والليلة ولسانه يجري به وقلبه متردد في اودية الاماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما
صام الدهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير و
منهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد
الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لمكس الظلمة
وذلك لعله يسقط حجة الاسلام عنه ومنهم من يتقلد الامامة حسبة او اذانه ويظن انه على خير ولو لم غيره

او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر بالخير ويغني نفسه
فاذا امر عنف وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر
علي وانما غرضه الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد
الجوارح وحفظها من المعاصي والزامها الطاعات او اهمل تفقد قلبه ليمحو منه الصفات المذمومة
والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله
بل يقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من يعجب بنفسه ويظن انه منفك
عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما يبتلي بها العوام ثم اذا ظهر عليه
مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا
من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم
لو طعن على غيره من اهل العلم لم يكن غضبه الان بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات
المغرور انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل
انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على
يدي من كان وربما يذكر هذا فلا تخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي
كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على ضميره
ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا
بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظن انه لا احد اعرف بالله وصفاته

وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى نفسه وفي الحديث النبوي
ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظايرها ويظن بنفسه انه لما تكلم
بهذه الصفات ودعا الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير
ولا ينفك عنه عوام المسلمين والاكياس يحبون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا
يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس
القضاء فصنعوا الحيل في دفع الحقوق واساوا تاويل الالفاظ واغتروا بالظواهر واخطاوا وذلك
مثل حكمهم فقولهم بان المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطاء
بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور وسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص
فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا فكلوه وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا يجب وطيبة النفس لا
تنال بالمجاهدة بقلبه ولكن يكره بها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا
عن ضرورة تقابله وكذا لو طلب من انسان ما لا يجب على ملاء من الناس فاستحيى من الناس
ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس
والسوال في مظنة الحياء والرياء مصادرة للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله
فان الباطن عند الله ظاهر وكذا من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه
ومن المغترين قوم تسموا باهل الذكر والتصوف بمجرد التزيي بالزي والتصنع والتكلف بلبس خرقة وجلسوا

ويجلسون حلقا يتخرعون الاذكار ويتغنون بالاشعار ويطلقون بالتهليل وليس لهم الى العلم
والمعرفة سبيل ابدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا بالبدع
دون السنن رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة
المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور الا الاسماء
ولكنه يلقف من الطامات كلمات يرددها الذي لا يعيها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر من السماء ينظر الى
اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم
بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا
هذب ياتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الجمع ويلقون اليه السمع وربما
يخرون له سجودا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون يديه وقدميه فهو مفتون على قصيره باذن لهم في الشهوات
ويرخص لهم في الشبهات ياكل ويأكلون كما تاكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من
حرام وهو يحلو لهم هاضم ولدينهم وادبابهم حاطم يحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون واما ارباب الاموال ففرق منهم من يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والرباطات والقناطر ويظهر للناس كافة باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون
اسماءهم بالاحجار عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك
وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه
لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس
لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جواره لحوم ادني بلدة فقير وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها

ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلب المحافل الجامعة والفقراء
والمساكين لفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقير
لما اخذه منه جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي
لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح
نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه
ويتردد في حاجاته ويظن انه اداها الله وامثال المغرور لا تحصى وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك فربما
اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك
مامولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك
في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا
والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت
انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك
وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق
الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين
والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك
واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها
ستة ابواب في الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وغيره

الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت
وضرب الخدود وشق الجيوب ومن شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره وفي الغنى ضبط النفس وضده
البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن وفي كظم الغيظ حلم وضده الغضب وفي النوائب سعة الصدر
وضده ضيق الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاذاعة وفي فضول العيش
زهد وضده الحرص ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين
الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته
التحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين
وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله
وقد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وكرر ذكر الصبر في القران واضاف اكثر الخيرات والدرجات
اليه وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها
بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة
على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون واستقصاء الآيات في مقام الصبر يطول وقال النبي صلعم
الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال

ما فاته

ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة
وقال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال
امير المؤمنين عم بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الباقر عم
من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل
الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال
الصادق عم من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد وقال ان الله تعالى
انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم نقمة والاخبار في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى
اعلموا ان ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والآخر ما يكرهه
وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر اما ما يوافق هواه كالصحة
والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذها
المباحة لما انه يجر ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قال بعض العارفين
البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة
ان لا تقدر والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة
وقدر عليها واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات
والمعاصي او لا يرتبط كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته
كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر الطاعات

التي توصف بكونها طاعة او معصية اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر من العبودية
وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل
كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع
الى الصبر عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص عن شوائب الريا
ودواعي الآفات والثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق
ادابه وسننه ويدوم على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن
افشائه والتظاهر به للسمعة والريا وعن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره
واما المعاصي فاشد انواع الصبر عنها الصبر عما كان مألوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية فاذا
انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين
على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي
اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك والصبر عن حركة
اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس الا ان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح
وهمومه هم واحد واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه
ما هو مقدر وكيفما كان فهو تضييع زمان وآلة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر
يستفيد به انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون القسم الثاني
ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر

بعد ذلك

على ذلك بترك المكافاة قال الله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى
فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صلعم وآله صل من قطعك واعط من حرمك
واعف عمن ظلمك القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك
الاموال وزوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا من اعلى مقامات اليقين قال النبي صلعم وآله اسألك من اليقين ما تهون
به علي مصائب الدنيا وقال صلعم وآله ما من عبد مؤمن اصابته مصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك وقال صلعم وآله قال الله عز وجل
اذا وجهت الى عبدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم
القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلعم وآله الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة
وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى
الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش وعن الباقر عم الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل
وافضل الصبرين الورع عن محارم الله ان قلت فبماذا ينال درجة الصبر في المصائب وليس
الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك
غير داخل تحت الاختيار فاعلم انه انما يخرج من مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها وهذه الامور
داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على العادة

اعادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان
العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله
فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وقال
ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا
فان المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة نعم من كمال الصبر كتمان المرض
والفقر وساير المصايب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصايب والاوجاع والصدقة وعن الباقر
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى من مرض ثلثا فلم يشك الى احد من عواده ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتي وفي معناه اخبار
اخر وفي بعضها فان البلاء يجري بعد له لحما ودما وبشرا لم يذنب فيها وفي الشكاية بان يقول
ابتليت بما لم يبتل به احد واصابني ما لم يصب احدا قال وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة
وحممت اليوم ونحو هذا وعن الصادق عليه السلام من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله
شكرها كانت كعبادة ستين سنة قيل ما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا
اصبح حمد الله على ما كان وسئل الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل فقال ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس
وعن النبي صلى الله عليه وآله من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ولما
واما الشكاية الى الله تعالى وسؤاله الرفع فلا يخرج فقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله
الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة
وذكر قلة مدة الشدة وقرب وقتها واضرار الجزع وقبحه وان يكثر فكره فيما ورد في فضل
الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والآخرة وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات

وانه لبسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا وحصل له ما يبقى
بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وان
يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها
ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة توكد القوى التي
تصدر منها تلك الاعمال ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك
بتعب قوي فتقى وان كان بحبس فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان كان بتلذذ فشكر
وهو بالحقيقة وعن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التمييز بين الالم واللذة
في الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلى الله عليه وآله انه سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون
فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء
فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء
وعن السجاد عليه السلام الصبر والرضا عن الله راس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه
فيما احب او كره لم يقض الله عز وجل له فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن الباقر
عليه السلام احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضي القضاء اتى عليه القضاء
وعظم الله اجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق عليه السلام ان اعلم
الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه عليه السلام ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران
يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليته لما هو

خير له واعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين
عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه
ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المال رضوان الله
والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق
الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له فهو الاصلح بحاله وان لم يبلغ فهمه سره ومن تامل للهم
به ولا يبدل القضاء ابدا فان ما قدر يكون البتة وما لم يقدر لم يكن والحزن على الماضي والتدبير للآتي يذهبا
ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يبعثه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق
والحريص وان يهون عليه الالم بارادة الثواب الشديد كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر ويفوض
امره الى الله ان الله بصير بالعباد قال الصادق عليه السلام لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضى
لو كان غيره   اعلموا ان قال البعض ضايقا خلاف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا
فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبتت تصور الحب تعين واستغراق الهم بالمحبوب فلا يخفى
ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى
يجري عليه المولم ولا يحس بها فاذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قد يصيب
قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور
مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه
ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه
هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها

لا يقاسي به جمال غيره فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه
واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان
وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب
فيه ومتقلد منه المنة فهذه حالة الرضا بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته بلية من الله وكان
له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ
الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى
آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب
الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن
لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله
عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن
بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين
بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له
عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل
في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم
هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه   اعلم ان الدعاء غير مناف للرضا
وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر

من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت دعوات الانبياء والائمة عليهم السلام وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم واما انكار المعاصي وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي اخر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكه في قتله واما بغض الكفار والفجار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار بالرضا لا يحصى وقد ورد من شواهدها اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة متضادان اذا تواردا على شيء واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكرهه من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه

تسليما

تسليما للملك الى الملك ورضي بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر مذموم ولا يشهد لذلك الا ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تخفى فواجب على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وهذا يجمع بين ما ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت عنه والتأدب بادب الشرع فقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه

واما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسايط مسخرون من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى في قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال اليك فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب واما الفرح بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر وامارته ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة ومعين عليها وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره للكافة للخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستر

كل عيب تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول من كفر نعمة العينين ايضا اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر والفكر ولا بقاء للبدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق سائر الاعضاء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لابد منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطى الشاكر له من الاجر كالمحروم القانع وعنه عليه السلام قال من اعطي الشكر اعطي الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وعنه عليه السلام قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن الباقر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا عائشة الا اكون عبدا شكورا قال وكان رسول الله يقوم على اصابع رجليه فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وعن الصادق عليه السلام شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم عليه في ماله

حق

فيه الحق اداه ومنه قوله سبحانه سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه السلام قال اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل فليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فان لم يكن يقدر فليضع كفه على كبده ثم ليحمد الله على ما انعم عليه

اعلم انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يحتاج الى شكر آخر وهكذا قال الصادق عليه السلام اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب فكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي قال يا موسى الآن شكرتني حين علمت ان ذلك مني وعن السجاد عليه السلام قال كان اذا قرأ هذه الآية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يقول سبحان من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكرا كما علم علم العالمين انهم لا يدركونه فجعله ايمانا علما منه انه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن الصادق عليه السلام قال اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي من نعمة او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك

وحده لا شريك له لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا رب حتى ترضى وبعد الرضا فإنك إذا قلت
ذلك كنت قد أديت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية
كان نوح يقول ذلك إذا أصبح فسمي بذلك عبداً شكوراً وعنه عليه السلام مكتوب في التورية
اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا
كفرت الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير يعني من تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد
وعن السجاد عليه السلام قال إن الله تعالى يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول الله تعالى لعبد من عبيده
يوم القيمة أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني إذ لم تشكره ثم قال أشكركم
لله أشكركم للناس [illegible] اعلم أن النعم إما دنيوية كالخلقة السوية واللذات
الشهية ودفع المفاسد والمضار وإما دينية كالإسلام ومعرفة الأئمة المعصومين عليهم السلام
والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية والدينية أعظم لإيصالها إلى السعادة الأبدية والإنجاء
من الشقاوة السرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية واغتنام الأبرار وزوال
ما لا يهم منها قال الكاظم عليه السلام من حمد الله على النعمة فقد شكره والحمد أفضل من تلك النعمة
والطريق إلى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنايعه تعالى والنظر إلى الأدنى في الدنيا وإلى
الأعلى في الدين ويشكر في المصايب على أن لا يصيبه أكبر منها وأن لا تكون في الدين وأن يعجل عقوبته
ولا تدخر للآخرة وأنها كانت أيسر فزع منها وأن ثوابها جزيل وأنها تنقص من القلب
حب الدنيا فهي في التحقيق نعم إذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة أو رياضة النفس أو رفع الدرجة ومع
ذلك كله فالعافية خير من البلاء وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا

وبلاء الآخرة

وبلاء الآخرة وكان يقول هو والأنبياء والأوصياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلوا الله العافية
فما أعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك
فإن عافية القلب أعلى من عافية البدن في الرجاء والخوف أما الرجاء فهو ارتياح القلب
لانتظار المحبوب فإن حصل أكثر أسبابه فالأصدق اسم الرجاء كتوقع الحصاد ممن ألقى بذراً جيداً
في أرض صالحة يصلها الماء وإن فقدا فالغرور والحماقة كالواقع في غير صالحة لا يصلها الماء
وإن شك فيهما فالتمني كما إذا صلحت الأرض ولا ماء وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض
والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة
الماء إليها والقلب المشتهر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة
يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلما ينفع إيمان مع
خبث القلب وسوء الأخلاق كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة
برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً ثم أمده بما يحتاج إليه
من تنقية الأرض مما يمنع نبات البذر أو يفسده وسوق الماء إليه في أوقاته ثم جلس منتظراً
من فضل الله دفع الآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وإن بث
البذر في أرض سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد
منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وكان
ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً سمي انتظاره تمنياً لا رجاء فإذن

اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق
إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان
بماء الطاعات وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن
الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى
الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب
مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور
قال الله تعالى إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي
صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وقيل للصادق عليه السلام إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا
ليسوا لنا بموال أولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجا شيئاً عمل له ومن خاف شيئاً هرب منه وقال
عليه السلام لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً
لما يخاف ويرجو فإذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام
النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق
بأن يرجو قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته
للمعصية وحرصه على الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد

الأسباب

الأسباب وأما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه ويكون قوة الخوف
وشدة تألم القلب بحسب ضعف الأسباب ويضعف الخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة
صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته
بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه وعيوب نفسه وجناياته تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه
أعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله أنا أخوفكم لله وقال الله سبحانه إنما يخشى الله من عباده
العلماء ثم بعد كمال المعرفة يفيض أثر الخوف من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما
البدن فبالنحول والصفار والبكاء وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما
فرط واستعداداً للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب
عليه وقال الحكيم من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات
ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف
أن فيه سماً فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة
والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ
لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة
النفس في الخطرات والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا
حال من غلبه الخوف واستولى عليه وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع من المحظورات
ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعاً فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم ويسمى
ذلك تقوى وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى

فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يجمع ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يحرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصديق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام

اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجا ولذا ورد في الرجا وحسن الظن وغايته لا سيما وقت الموت قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل اليأس وقال ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعيّر الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين عليه السلام لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون

عندي من كرامتي

عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه عليه السلام قال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه وقال الصادق عليه السلام حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله سبحانه من دون شفيع وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم به عليه في الدارين من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب والاخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر من ان تحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها لان المحتاج الى تحصيل الرجا من غلب عليه الخوف او اليأس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغترون بما هم فيه من الفساد والحوب كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها الا في طغيانهم تماديا وفي فسادهم فسادا

اعلم ان الرجا محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو خسر ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى ان جاوز الى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى اليأس فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا الكافرون والاصلح

ان يعتدل بهما الآمال امير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وعن الباقر عليه السلام ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجا فغالب الناس فيشتد لها الاغترار وقلة المعرفة والاصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها تقطع نياط قلبه وتعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه فلا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقائه فانه من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه مهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم على محبوبه وخلاص له من السجن فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله

اعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية

وضعفه

وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما يزول الغفلة بالتذكر والوعظ وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأس الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنسوب الى السجاد عليه السلام سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الصادق عليه السلام من عرف الله خاف الله ومن خاف سخت نفسه عن الدنيا وقال ان من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك وقال من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله

ثم يصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها وروى الصدوق في عرض المجالس عن ليث بن ابي سليم
قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينما رسول الله صلى الله عليه وآله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء
رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول يا نفس
ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل
فاومى اليه النبي صلى الله عليه وآله بيده ودعاه فقال يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئا ما رأيت احدا
من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت لنفسي
يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد خفت ربك حق مخافته
وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعوا
لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا
وحديث بهلول النباش مشهور في الكتاب المذكور ومذكور وعن الباقر عليه السلام قال صلى امير المؤمنين
عليه السلام بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما
والله لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم ليصبحون ويمسون شعثا
غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين اقدامهم و
جباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون
مشفقون وفي رواية اخرى كان زفير النار في آذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما
يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين قال ثم قام فما رئي ضاحكا حتى قبض عليه السلام واما خوف

الملائكة

في الخوف

الملائكة والانبياء والاولياء وائمة الهدى كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبينا وابراهيم الخليل
وداود ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليرجع اليها من اراد
فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره   اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما
ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى
مكروه في الآخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه
حتى يحترق قلبه بسبب استشعار ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات
المحذورة اما الخائفون مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل
التوبة او خوف نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب
وتبديلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة
او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله
عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف
غوائل طاعته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف   الناس عنده في الغيبة والخيانة
والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة
في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على
سريرته في حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت
له في الازل وهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها فضل وفائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما
يفضي الى المخوف فمن خاف استيلاء العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل

بتطهير قلبه من الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان
الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة تتفرع منها
بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب والى الاشارة بما رواه الصادق
عليه السلام قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون
ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم
القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير وعنه عليه السلام قال
يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم تتداركه
السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه
الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة واما الخائفون
مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف سكرات الموت وشدته او سؤال منكر
ونكير او عذاب القبر واهوال المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال
عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه والخوف من النار واغلالها
واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان الدرجات
والخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف
العابدين والزاهدين وكافة العاملين ولا يخفى ان فضيلة الشيء بقدر اعانته على
السعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل حبه والانس به
في الدنيا ولا يحصل الحب الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا

بالذكر

في سوء الخاتمة

بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب
ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات
ولا ينقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته
بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
بحسب اختلاف درجات الخوف كما نبهناه   اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا مختلفة ترجع
الى ثلثة اما السبب الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهوالها
اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في تلك الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك
يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد وسبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته
وافعاله خلاف الحق اما برأيه ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان
ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل
سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الحالة قبل ان يتنبه
ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والبله بمعزل من هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله
واليوم الآخر ايمانا مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث والنظر
والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه وذلك لان الخطر في
البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية

قاصر وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا بحيث وما ذكره الباحثون
ببضاعة عقولهم المزجاة مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقي اليها في مبدا النشو الغر
وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والماخوذة
بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا
بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا انفتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والعقول
مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال
والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد
ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عنهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا
بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من فقهه الله في الدين وعلمه
التاويل واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت الاحمر واما السبب الثاني نحو ضعف الايمان
ضعف في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب
الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في
في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب
ويقسو ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان حتى
يصير طبعا ورينا فاذا جاء سكرات الموت ازداد حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق
الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على القلب فيتالم القلب باستشعار فراقها ويرى ذلك من الله فيختلج
ضميره بانكار ما قدره الله عليه من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب فان الفوز في

روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في قلبه حب الله اغلب
من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر ولا حب الله الا من قال الله تعالى
قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وأما السبب
الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات
ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه
عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله وان كان ميله
الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات
الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد
الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كما ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها
طول عمره والفها حتى انه لا يرى الا ما يماثل ما شاهده في اليقظة فكذلك حاله عند سكرات الموت
وما يتقدمه من الغشية فانه يشبه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها
الى خواطره وربما يكون غلبت الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل نفسه اليها فربما
يقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا ومن اراد ان يكف
خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي
قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير
وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه

ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو
يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت وانما الخوف
عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين
سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق
ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف فلهذا اعظم خوف
العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحواله
الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطراب
الخيال لا يدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة
وقد عرفت بهذا ان اعمال المرء كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان
السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ومن هنا قيل لا اعجب ممن هلك كيف هلك
ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وموت الفجاءة
مكروها اما موت الفجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب
واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب
الدنيا والاهل والمال والولد اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله
وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية
في المحبة والانس اعلم
ان المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا

وهو ثمرة من ثمارها كالشوق والانس والرضا ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد
وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب من الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد
عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله عز وجل
واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة و
سائر لوازم الحب وتوابعه من ان ما في القرآن والحديث وحكايات المحبين ما هو نص على ثبوت حقيقة
المحبة ولوازمها لله عز وجل من غير قبول للتاويل فمن شواهد القرآن في حب الله عز وجل قوله يحبهم ويحبونه
والذين آمنوا اشد حبا لله وقوله قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم
من الله ورسوله الآية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من
الماء البارد وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت
خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض
وفي مناجاة موسى يا ابن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب
خلوة حبيبه ها انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الي
من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور يا ابن
عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع في ظلم الليل فانك تجدني
قريبا وروينا ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي
بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى

الى ثلة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال اما الذي بلغ بكم ما ارى قال الشوق الى الجنة حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال اما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون و
وفي علل الشرايع عن نبينا صلى الله عليه وآله ان شعيبا بكى من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان هذا هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعائه يوم عرفة انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجاوا الى غيرك وقال ايضا من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين جباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من مهابتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك وقال ايضا الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك في مسالك الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك وقال وغلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفيها الا لقاؤك وشوقي اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي

قال وملائت ضمايرهم من حبك ورويتهم من صافي شرابك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبتك ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي وقال ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين جباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من مهابتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك وقال ايضا الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك في مسالك الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك وقال وغلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفيها الا لقاؤك وشوقي اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي

وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبريه الا صفحك ورين قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك وامثال هذه في ادعيتهم اكثر من ان تحصى وعن امير المؤمنين عليه السلام ان الله تعالى شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب فكلما كان المعرفة به اقوى واللذة اشد واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان يدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس وكان الانسان يحب نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار

والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر بل وليس الحس والجمال مقصورا على مدركات الحواس بل كثير من خلال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة وآية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة على حب الانبياء والائمة عليهم السلام مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه وجملة خلال الخير ترجع الى العلم والقدرة وهما محبوبان بالطبع وغير مدرك بالحواس بل من وصف حاتما بالسخاء وعليا عليه السلام بالشجاعة احبهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ثم كل عاقل يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير اما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او لمناسبة بين المحب وبين المحبوب اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملائمة والمعرفة ولا شيء اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحا لمعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبته نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه وجماله او لغير من الله وكماله فكذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري او الباطن المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل بليغ حسن من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب احد غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت

وجوه الاحباب واستار الاسباب وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان فان الاحسان ايضا
محبوب للذاته سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله جل شانه
فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه ودواعيه فكل محسن محو حسنة من حسنات قدرته
وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى
الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق
بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ايتلف اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع الى
محبة الله كما عرفت فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله لا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه و
احباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار من
عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلتجاوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن اعين
العميان عن تجلي جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار
الحجاب مبعدون وغيرك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات
البهايم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه
لا يتصور ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات تابعة للادراكات
والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها
مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها
في الغلبة والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء وهكذا ساير

الغرايز

الغرايز حتى في القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقائق
الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم اخص من الصفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال
علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك
ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة
العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والا
كمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود
شيء اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومكملها ومربيها ومبديها ومعيدها
ومدبرها ومرتبها فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة بالله اقوى من ساير اللذات لمن له غريزة الحب
المعرفة ثم من عرف الله عرف ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة
كما قيل كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني من
كنت احسده فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا
بذكرك يا ديني ودنيائي اعلم انه لا فرق في الرؤية بين الدنيا والاخرة فكما انه لا يجوز
رؤيته سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر وكما انه
يجوز رؤيته في الاخرة بالقلب والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث
يتادى الى المشاهدة واللقاء وكذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه
ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد فان اولياء الله يشاهدونه في الدنيا وجميع احوالهم

ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم كما قال تعالى والشهداء عند ربهم وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فانهم شهدا
لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله عز وجل واينما تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول
والاخر والظاهر والباطن فوصفه بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة
الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلما تحقق اولياء الله بمعاني
هذه الايات شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين عليه السلام هل رايت ربك حين عبدته
فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته قال ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة
الابصار ولكن راته القلوب بحقائق الايمان وقال ابنه الحسين سيد الشهداء كيف يستدل عليك
بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى
غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك عميت
عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا
تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت
الظاهر لكل شيء نعم يمكن ان يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وتجردها
عن العلايق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده عن ابي بصير عن الصادق
عليه السلام قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه
قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال
وان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت
له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل

[illegible]

[illegible]

يرى

بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه
المشبهون والملحدون اراد عليه السلام بالمشبهين والملحدين اصحاب التميمي والعدوي فانهم يزعمون
ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة وان لم يجز في الدنيا وان المؤمنين يرونه يوم القيمة
بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد سئل الصادق عليه السلام عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء
من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش
والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر فان كانوا صادقين
فليملؤا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة وتقويتها
ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك بتطهير القلب من شواغل الدنيا
وعلايقها والتبتل الى الله بالذكر والفكر ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء الذي
لا يسع الخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان
يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله
ينقص منه حب الله الا ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر
من مظاهر اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والشوق الى
من المطلوب ما لم يحصل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما
يكون باحد الامرين ولا نهاية له لان الاتضاح فيما حصل لا نهاية له حاجة وكذا الازدياد
فيما بقي من جمال الله وجلاله لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال للحبيب ايضا شوق لانه
لا ينظهر منها الم فالشوق لا يسكن قط ولا سيما عمن يرى فوقهم درجات كثيرة يسعى نورهم بين

اليهم فيما لهم يقولون ربنا لنا نورنا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المشتاق لا يشتهي
طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا ولا يانس حميما ولا ياوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس
لينا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما اشتاق اليه ويناجيه بلسان
شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب
لترضى وفسر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه
ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك
من الدنيا وودع المالوفات واحرم عن سوى مشوقك ولب بين حياتك وموتك لبيك
اللهم لبيك واعظم الله تعالى اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه
وقد نسي كل شيء دونه والاخبار والاثار الواردة في شوق لقاء الله تعالى اكثر من ان تحصى وقد
مرت الاشارة الى بعضها في ادعية المعصومين عليهم السلام اعلم ان الانس
اذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال
انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة
الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا
على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى
استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد
تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الا
الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال اعظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه
الانس بالله لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش عن غير الله

كل ما يعوق من الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى على نبينا وعليه السلام لما كلمه
ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب
وعذوبة ذكره ماسواه فان خالط الناس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر
في سفر وشاهد في غيبة وغايب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة
الذكر قال امير المؤمنين عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه اعلم ان الانس
اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من
الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكرا بحسب الصورة فيه لما
من الجراة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل
والكلام هلك واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى ان يسأله
ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين فخرج موسى في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل
اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون
مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى فلم يعرف فبينا
موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود
في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه ما اسمك قال اسمي برخ
قال فانت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من

من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما
عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة
وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت
بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ
فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى به فاوحى
الله عز وجل اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم ان الانبساط الانسي قول موسى
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له
اذهب الى فرعون انه طغى فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله ويضيق صدري
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم
مقام الانس يلاطف ويحمل ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض
والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث فنودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهي نبينا صلى الله عليه وآله ان يقتدي به فقيل له
واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها
لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة
بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع
بعضهم على بعض درجات وكان عيسى على نبينا وعليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم
نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه

لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم
ينطق حتى سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف
احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين اية من اخباره تعالى عن زهدهم نيفا
واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع
فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسألة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل لئن عاد لمحي
اسمه عن ديوان النبوة وهذه القصص وردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده
الذين خلوا من قبل فما في القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه
واما حب الله سبحانه لعبده فيرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وتمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير باطنه من حلول الغير به
وتخليته عن عوايق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به
ولا ينطق الا به كما ورد في الحديث القدسي ولا يزال العبد يتقرب بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه
وكل ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله

عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واحض علامة حبه لله فان ذلك يدل على حب الله عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل الهموم هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه وذلك لانه هو الوجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وسبل الادراكات من المدرك والمدرك انما هو الوجود فكلما ادركته فانما تدرك اولا وجوده وان لم تشعر به وانما خفي عليك ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فان الاشياء انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دايمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام قد استضائت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات

اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فاذن الحق سبحانه هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء خفي لافراط الظهور تعرضت لا دركه ابصار قوم خفافيش وحظ عيون الورق من نوره جهد لشدة تحفظ الصلعيون العواشي قال امير المؤمنين عليه السلام لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وقال الظاهر في غيب والغايب في ظهوره وقال لا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنى وظهر وبطن خفي وبان ولم يدن اي ظهر وغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد في اليقين و التوكل قال الله تعالى وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين فقال ما ادري الا وله ذنوب لكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتفكر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وعن الصادق عليه السلام قال ليس شيء الا وله حد قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا وقال عليه السلام من صحة اليقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم بما لم يؤته الله فان الرزق

لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وروي عنه عليه السلام بقوله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ان كان يكرمهم على ترك صلتهم اياه بالمال ونحوه فان ذلك الشيء لو قدره الله له ولم يرزقه اياه ومن كان اهل اليقين عرفان ذلك كذلك فلم يلم احدا بذلك وعرفان ذلك بما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما اوجبته حكمة الله في امره وعنه عليه السلام ان العمل الدايم القليل على اليقين وعنه عليه السلام افضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين وعنه عليه السلام قال كان امير المؤمنين صلوات الله عليه يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو الله تعالى وعنه عليه السلام ان امير المؤمنين عليه السلام جلس الى حايط مايل يقضي بين الناس فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا الحايط فانه معور فقال امير المؤمنين عليه السلام حرس امرء اجله فلما قام سقط الحايط قال وكان امير المؤمنين صلوات الله عليه مما يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعنه عليه السلام قال كان قنبر غلام علي يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على اثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني او من اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون لي شيئا الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وقيل للرضا عليه السلام انك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان لله تعالى واديا من ذهب حماه باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه وعني بالسيف سيف السلطان وعنه عليه السلام كان في الكنز الذي قال الله تعالى وكان تحته كنز لهما كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن

بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راي الدنيا وتقلبها باهلها كيف يركن اليها اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط كلها مسخرة لحكمها ثم الثقة بضمان الله سبحانه للرزق وان يرى ان ما قدر له سياق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله مطلع عليه في كل حال ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون متادبا في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عظم شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا ان الانبياء مع جلالتهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرايضه وسنن نبيه

في جميع حركاتهم ولا يعتمدوا على مجرد التوكل ولا يقفوا في سبيل الحرص ولا اذا ابواب الله وارتبطوا
غفلة عن ماحلهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب
لا يكون متوكلا فلا يستجلب من كسبه الى نفسه الا ما ادبه ... وعلامته ان يؤثر ما يحصل من كسبه
من يجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والماذون بالكسب كان بنفسه مكتسبا وبقلبه
متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين عالما بان كون ذلك وفوته سواء وان امسك
امسك لله وان انفق انفق فيما امره الله عز وجل ويكون منعه وعطاؤه في الله التوكل
منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في
غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب
والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع
الاعتماد على اسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره وقال ان
الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله لابسه فان
الحبيب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله أليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره
هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو انكم توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع
الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وعن الصادق ع
اوحى الله تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته

ثم تكيده

ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي
باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته
ولم ابال باي واد هلك وعنه عليه السلام ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا
وعنه عليه السلام انه قرأ في بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي
على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي
ولابعدنه من وصلي ايؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر
باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني
لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي
عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا
الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها
احد غيري الي ابدا بالعطاء قبل المسألة ثم اسال فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي
اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا
يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل
واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه
فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني   اعلم ان من اعتقد
اعتقادا جازما بانه لا فاعل الا الله وانه لا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم والقدرة
على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس
وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ولم

ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه احد امرين اما ضعف اليقين
واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب
قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين كانزعاجه من ان يبيت مع ميت في قبر او
فراش مع علمه بنفرته عن سائر الجمادات فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ
بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين
لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له
كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما
اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين
الا انهم معرضون عنه وعن الكاظم عليه السلام في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال التوكل
على الله درجات منها ان تتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم انه
لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك اليه وثق به فيها
وفي غيرها ولعل سائر درجات التوكل ان يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعددها
بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها   اعلم ان من الناس من يظن ان معنى التوكل
ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة واللحم على
الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب
التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما احله الله وكما ان الصلوة
والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك طلب الرزق الحلال
عبادة كلفهم الله بها ليتقربوا بها اليه بل هو افضل العبادات كما ورد في الباب الاول عن

المقالة الثالثة

المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به جل وعز ولا يثقوا بالاسباب كما انه
سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل المامور به في الشرع
الاقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل
الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان سكونه الى الله تعالى دونها مجوزا ان يؤتيه الله مطلوبه
من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب سواء كانت لجلب نفع متوقع او لدفع ضرر
منتظر او لازالة اذى واقع وسواء كانت مقطوعا بها كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه او
مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد
الاضطرار والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل
وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء في دقائق
التدبير فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء والالباء وليس مما امر
بها بل ورد النهي عنها على ان المامور به الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الانبساط
قال النبي صلى الله عليه وآله الا ان الروح الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله عز وجل واجملوا في الطلب قال ما اجمل في الطلب وكسب الحر وقال الصادق
عليه السلام ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن
اليها ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن
الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت
بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة
والمظنونة مع ان الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه ابى ان

ان يجري الاشياء بالاسباب كما قال الصادق ع واحب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم
بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى ع
فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين الاعداء ونوع التسبب وقال النبي ص للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك روي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد
سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا
فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس
فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه ذلك فاوحى
الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي
عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي وفي الاسرائيليات ان موسى على نبينا وآله وعليه السلام اعتل بعلة فدخل
عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا اتداوى حتى يعافيني
الله من غير دواء فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما
ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله
اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري
ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان يكتفي بالاسباب الخفية عن الاسباب الجلية كان يسافر في
البوادي التي لا يطرقها الناس بغير زاد بعد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه
بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله وان يكون بحيث يقوى

على التقوت

على التقوت بالحشيش وما يتفق له او يوطن نفسه على انه ان مات جوعا كان خيرا له في الآخرة
او يقعد في بيته او في مسجد ويتفرغ بترك الكسب لفكر او ذكر واخلاص واستغراق وقت
بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب
في الصبر والاتكال على الله وهذا اخطاء لانه من جاهد نفسه وسواها بحيث يصبر على الجوع اسبوعا
ويمكنه التقوت بالحشيش صارت الاسباب له جلية فانه علم العادة احد العنائين من ان كان
احسا وحينئذ على صبره وتمكنه على التقوت بالحشيش فانه التوكل وان كان انما يثق بالله
وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون الاسباب كما امر الله به اولهما الذي
مرت قصته واما توطين نفسه باختياره على الموت جوعا فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته يتعبد من غير كسب فهو ايضا قد ترك اتباع امر الله
تعالى بالطلب قال الصادق عليه السلام ان من يعبد الله اشد عبادة منه ربما يكون مثله كلا على الناس
فان حاله ينادي بالبؤس والباس بل هو ضرب في بواطن الناس وتعرض للذل الا اذا خرج
من بين الناس فرجع الى الاول من تعرضه بالمنقر وتعرضه للهلاك ولست تعري اي ميل
في خفاء الاسباب وجلائها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب
سواء وجود الاسباب وفقدها جلائها او خفائها نعم تتفاوت درجات الناس فيه
بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه وفي قصر الامل وطوله وفي مقدار الادخار
بحسب الامل والمنفرد والمعيل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب اليمين ومنهم
من لا توكل له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق وتوفر الاسباب الجلية فمنهم من يرزقه من حيث
لا يحتسب كسبا لم يكتسب بل يتبع امر الله فيه طلبا وثقة بالله وحده دون كسبه

قال الصادق عليه السلام ابى الله جل وعز ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون وانما
خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكل على الله
عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء وفضل الله
يؤتيه من يشاء وقال السجاد عليه السلام رأيت الخير كله في قطع الطمع عما في ايدي الناس ومن لم
يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله تعالى له في كل شيء وقال
الصادق (الباقر) عليه السلام بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق
عليه السلام شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس في الصدق واداء
الامانة وادنى الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله بترك المعاريض من غير ضرورة حذرا
من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ورعايته مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهي لله وفي قلبه
سواه او اياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشيء يقال له
يقال صادق الحلاوة اي محضها فالصادق في النية لا بد ان يكون مخلصا ثم في العزم على
العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره واذا لقيت عدوا
في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق
في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فالنفس قد تسخو بالعزم اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وهذا ايضا ضد الصدق فيه ولذلك قال الله
سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله
الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان يجر الباطن الى
تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف

على هيئة

على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه
رآه قائما بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته
وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك فهذا غير صادق في عمله وان
لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية
بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره وهذا كما قال امير المؤمنين عليه السلام اني والله
ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها ثم في
مقامات الدين وهو اعلى الدرجات واعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد
والحب والتوكل وسائر المكارم فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات
وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر رضي الله
عنه عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله
عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف
من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه
اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه
عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله وولده وقد ينزعج
عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك
خوفا من درك المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية

عليه والله لك قال النبي ص وآله لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها
والتحقق بهذه الامور عزيز جداً ولكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي
ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان
كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً   في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا
اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في صدق معناك وغور دعواك وعيّرهما
بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا
اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق ان لا يخالف اللسان
القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم
ينزع فماذا يصنع   وعنه عليه السلام ان الصادق اول من يصدقه الله تعالى يعلم انه صادق
وتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه عليه السلام قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله
من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر
واذا كذب قال الله تعالى كذب وفجر وفي رواية ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً وعنه عليه السلام
قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض
اصحابه انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله ص وآله فالزمه فان علياً انما بلغ ما بلغ به عند
رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة وقال عليه السلام لا تنظروا الى طول ركوع الرجل
وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق
حديثه واداء امانته وقال عليه السلام ان الله تعالى لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث
واداء الامانة الى البر والفاجر   وعن النبي ص وآله اداء الامانة يجلب الرزق والخيانة

يجلب الفقر

يجلب الفقر وعن امير المؤمنين عليه السلام ادّوا الامانات ولو الى قاتل ولد الانبياء وعن الصادق عليه السلام
من ائتمنك بامانة فادّها اليه ومن خانك فلا تخنه   في العبادات واداتها ومنها
سبعة ابواب   في النية والاخلاص قال النبي ص وآله انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى
دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة
ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة الا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا
او نيل الصيت عند الاستيلاء فبين صلى الله عليه وآله ان كل احد ينال في عمله ما يبتغيه ويصل
الى ما ينويه كائناً ما كان دنيوياً او اخروياً وهذا الخبر مما يعده اصحاب الحديث من المتواترات
وهو اول ما يعلمونه اولادهم يقولون انه نصف العلم واعلم انه لا يجب من عبادة الله
ولا يصح من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الآخرة الا ما اريد به التقرب الى الله تعالى
فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفاً وطمعاً وقوله ويدعوننا رغباً ورهباً
وكل ما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الآيات التي لا تحصى فرغب ورهب ووعد
واوعد وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطفه
تعالى واحبه واشتاق اليه واخلص عبادته لله لكونه اهلا للعبادة ولمحبته له احبه الله
واخلصه واجتباه وقربه الى نفسه وادناه قرباً معنوياً ودنواً روحانياً كما قال في حق بعض
من هذه صفته وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال امير المؤمنين عليه السلام الهي ما عبدتك
خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف
سوى كونه الهاً صانعاً للعالم قادراً قاهراً عالماً وان له جنة ينعم بها المطيعين وناراً

يعذب بها العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته وطاعته
الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ
الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب والخلاص من العقاب زعماً
منه ان هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه فان هذا قول من لا معرفة
له بحقائق التكاليف ومراتب الناس فيها بل ولا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها ولها عبارة
عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلاً واما آجلاً ومجرد
قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور معنى هذا القول بخاطره وملاحظته
بقلبه وان لم يكن للنفس انبعاث الى التقرب هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما
ذلك الا كقول الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء وهذه الانبعاثات اذا
لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور واكثر الناس يتعذر منهم
العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم
ان يتذكروا النار ويحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصاً
من كان الغالب على قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل الخيرات لينال بها
ثواب الآخرة فضلاً عن عبادته على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية
فانه قل من يفهمها فضلاً عن تعاطيها فلو كلف بها لكان تكليفاً بما لا يطاق وليس معنى الاخلاص
في العبادة الا ان لا يكون مشوبة بشوائب الدنيا وحظوظ النفس كمدح الناس والخلاص من
الفقر بعتق العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه وظاهر انه لا ينافيه ارادة الجنة والخلاص
من النار وعادتها في الآخرة وان كان محلّى بالمألوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسداً

للعبادة

للعبادات لكان الترغيب والترهيب بالوعد والوعيد عبثاً بل مخلاً بالمقصود ثم ليت شعري كيف
يمكن العبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا
نشوراً ان يستغني من جلب النفع من مولاه لنفسه او دفع الضر عنها ومن امعن حق الامعان
فلا يجد اكثر القائلين ببطلان العبادة باحدى النيتين الا ونياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع
الى احدهما وهم لا يشعرون وعن الصادق عليه السلام العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل
خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء
وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة قوله عليه السلام
وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا يخلو من فضل ايضاً فضلاً عن
ان تكون صحيحة   قد ورد في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نية
المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء
في معنى الحديث على اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده
الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على اعماله وايضاً ان المؤمن ينوي ان يقع عمله
على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها لا يتيسر له ذلك ولا يتأتى كما
يريد فلا يأتي بها كما ينبغي فالذي ينوي دائماً خير من الذي يعمل به في كل عبادة والى
هذا اشار الباقر عليه السلام حيث كان يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي
من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر
ما لا يدركه وعن الصادق عليه السلام انه قيل له سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله
فكيف يكون النية خيراً من العمل قال لان العمل انما كان رياء للمخلوقين والنية خالصة

رب العالمين فيعطي عزّ وجلّ على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه صدقة وعنه عليه السلام ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عليه السلام
ان سئل عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤدياً فقال حسن النية بالطاعة يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما وافق نيته والا فقد ادى ما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عليه السلام انما خلّد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله ابداً وانما خلّد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابداً فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته وعنه عليه السلام من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وما قيل في معنى الحديث المشهور ان النية انما تكون خيراً من العمل لتوقف نفع العمل عليها دون العكس وكون الغرض الاصلي من العمل تاثر القلب بالميل الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الا في الى ان الحاج اريد على قصد الحاج بالجلاف الحاج بما علا على انها امر انه والتاثر صفة القلب وهذا يعرف معنى قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيداً فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثاراً لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى في القلب ولذلك قال

بالنية

النبي صلى الله عليه وآله لما خرج في غزوة تبوك ان بالمدينة قوماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا فقال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية البيتة المباحة
كالقيام للاكرام واما متعدية كالتصدق للفقر والقرابة واما ان لا يستقل بمساواته او مفاوتاً ويتعدد الجزاء بتعدد ما هي كان كالدخول في المسجد لزيارة الله عز وجل فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل في المسجد فقد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زائره ولانتظار الصلوة والاعتكاف ولا انزواء والتجرد للذكر وترك الذنوب اذ ترك العقود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة النساء والمناظرة للمباهاة والمراياة وجزها لجعل المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وادخال السرور بالعرف وسد باب الغيبة وربما يفضل على بعضها فالترفه بنومه او دعابة مباحة لرد نشاط الصلوة افضل منها في الملال وشرها لجعل المعصية كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا اثر فيها في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث النفس وتوجهها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد لم يمكنه ان يتزوج على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي

اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً ان يقوي اولاً ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك فربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة ويحرك اعضاءه لمباشرة العقد واذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً واذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعن الصادق عليه السلام انه اتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف عليه السلام انصرف معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من شاني ادخاله قال فهو لم يكن يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله عراضاً وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية لله في الامور كلها قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال النبي صلى الله عليه وآله نية المؤمن خير من عمله وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون لانه اذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً وقال اولئك هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة ويختلف على حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سطوته ونفسه منه في تعب والناس منه

رياضة

في الاخلاص واما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فلا يعمل الا لارادة وجه الله تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته وافعاله والمناجاة ثم ارادة نفع الآخرة ثم حظ النفس وورد في حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين عليه السلام قال طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطي غيره وعن الباقر عليه السلام قال ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوماً وقال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوماً الا زهده الله في الدنيا وبصّره داءها ودواءها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل فقل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص كسر الحظوظ النفسية وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغروراً لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات

كلها شبات وبدالهم سيئات من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وهم
يحسبون وهم يحسنون صنعا وقد مضت الاشارة الى امثال ذلك في باب ذم الغرور

اعلم انه قد ثبت باجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه ومعلوم ان سفره
ليس خالصا للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت
ان نية الحيثيات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن ان التاجر انما يثاب على
اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وعبادته غير مشوبة بحظ النفس وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب
فيه بل هو قصد تجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين
والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد
انتفاء ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الاهل انضماما غير مستقل ونحو
اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية ولا نية الوضوء التبرد والى نية العتق سوء الخلق والخلاص
عن المؤنة الى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات مستقلة والا لانتفى الاخلاص من انواع الرياء وغيره
فقد مر الكلام فيه في باب الرياء والكبر فلا وجه للاعادة في مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام الاخلاص يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن يقبل الله
منه ويرضى عنه فهو المخلص وان قل عمله ومن لا يقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم
عليه السلام وابليس وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة كل حركة وسكون
والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا
ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد
كما قال الاول هلك العالمون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون وهلك

العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون
وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا
فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص
في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة

في الطهارة والنظافة قال الله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال
الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله الطهور نصف
الايمان وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال بني الدين على النظافة وقال النبي صلى الله عليه وآله بئس
العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا فلينظفه وقال امير المؤمنين عليه السلام النظيف من الثياب
يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلوة فيتفطن ذو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور
انما هي عمارة القلوب والسرائر وان المراد بقوله صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان عمارة
الظاهر بالتطهير والتنظيف انما هي نصف الايمان والنصف الآخر عمارة الباطن بالاعمال
بالاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث
والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات والثالثة
تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل شانه
وعلا وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي
فيها وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان
يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله وعمارته بمعرفة الله والكشف

جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ من طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى
ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف
صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا
نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الا
الاولى التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه
والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق
ينبغي للعاقل
بتخليته لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار وبإراحة نفسه عند اخراجها
وسكون قلبه من دنسها وصلاحيتها للوقوف على بساط الخدمة والتأهل للمناجاة هوان الدنيا
ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام سمي المستراح
مستراحا لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها
والمؤمن يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدل عنها
وبتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه عن النجاسة
والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان
التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ
من التمتع بها وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته
اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره
واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلف ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر
الكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه فان المعول

ذلك وما سواه لا شيء عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها
بالسواك وقال صلى الله عليه وآله صلوة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجعلها
من السنن المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما تزيل ما تلوث لمن اسنانك
من مطعمك وماكلك بالسواك كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع
والتهجد والاستغفار بالاسحار وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب
المناهي كلها خالصا لله فان النبي صلى الله عليه وآله اراد باستعماله مثلا لاهل التيقظ وهو ان
السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك والاسنان خلق خلقه الله تعالى
في الفم آلة واداة للمضغ وسببا لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية
تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام وتتغير بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ
وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة
والتعظيم واذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر صقل بصيقلة التوبة ونظف
بماء الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهريته الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وانه صلى الله عليه وآله امر بالسواك ظاهر الاسنان واراد
هذا المعنى ومن اناخ تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع
فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين
قال النبي صلى الله عليه وآله من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء الى الوضوء كفارة
لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق عليه السلام

من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنما اغتسل وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام إذا
أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله فإن الله تعالى قد جعل الماء
مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً إلى بساط خدمته وكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك
نجاسات الظاهر يطهرها الماء لا غير قال الله تعالى وهو الذي أرسل الرياح بشرى بين يدي
رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما أحيا به كل
شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء
ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء
التي أمرك الله بتطهيرها وآت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة
إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله كامتزاج
الماء بالأشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله
مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء
حين أنزله من السماء وسماه طهوراً وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة
جوارحك بالماء وقال الرضا عليه السلام إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين
يدي الجبار عند مناجاته إياه مطيعاً له فيما أمره نقياً من الأدناس والنجاسة مع ما فيه
من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار وإنما وجب على
الوجه واليدين والرأس والرجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فإنما ينكشف
من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب
ويرهب ويتبتل وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد وأمر بالغسل

من الجنابة

من الجنابة دون الخلاء لأن الجنابة من نفس الإنسان إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال وعلة التخفيف في البول والغائط أنه أكثر وأدوم من
الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة والجنابة لا تكون
إلا بالاستلذاذ منهم والإكراه لأنفسهم   قال بعض أصحابنا ما ملخصه أن الدنيا
والآخرة ضرتان كلما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى فلذلك أمر العبد بتطهير الأ
عضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والإقبال عليه فأمر أولاً
في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة
على مطالب الدنيا الدنيوية ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الأدناس ثم
أمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر الأمور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من الإقبال
على الآخرة ثم بمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبه ويتوسل إلى تحصيل مآربه فيطهرها
جميعاً ليسوغ الدخول بها في العبادة والإقبال عليها وأمر في الغسل بغسل جميع البدن
لأن أدنى حالات الإنسان وأشدها تعلقاً بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات
الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله تحت كل شعرة
جنابة بحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية منغمساً في اللذات الدنية كان
غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية لتتأهل لمقابلة الحضرة الشريفة والدخول في العبادة
المنيفة وأمر في التيمم بمسح الأعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعاً لتلك
الأعضاء المتكبرة وهضماً لجانبها بأثر الذلة الخسيسة قال ولما كان القلب
من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات

المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل وإذا لم يكن
تطهيرها من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بالأوصاف الجميلة فليقم مقام الهضم والإزراء ويقعد
ببساط الذل والانكسار عسى أن يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متواضع
فيخصه بنفحة من نفحات نوره اللامع فإنه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأثر فتأمل في هذه
الإشارات إلى ما يوجب لك الإقبال وتلافي سالف الإهمال   قال أمير المؤمنين عليه السلام
نعم البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدرن وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل
أن لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظاته فإنها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه
أو يناديه عنها عبرة وموعظة فإن نظر إلى ظلمة تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر
أفاعي جهنم وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم
الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول تذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الرد
والقبول إلى غير ذلك والحمام أشبه شيء بجهنم النار من تحته والظلام من فوقه فينبغي أن
يتذكر حر النار بحرارته ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى
جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق عليه السلام فإذا دخلت البيت الثاني فقل
نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار

باب

في الصلوة والذكر قال الله عز وجل والذين هم في صلاتهم خاشعون وقال فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لأنهم
سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه أقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال

لا تقربوا

ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل فيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين
فيه العلة وقال النبي صلى الله عليه وآله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقال إنما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتبأس وتندم وتقنع
يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال إذا صليت صلوة فريضة فصل
لوقتها صلوة مودع يخاف أن لا يعود فيها وقال صلى الله عليه وآله لا ينظر الله إلى صلوة لا يحضر الرجل
فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق عليه السلام من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة
لم يعذبه وروي أن إبراهيم الخليل كان يسمع تأوهه على حد ميل وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز
المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك وقال بعض أزواجه كان
النبي صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان أمير المؤمنين عليه السلام
إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان عليه السلام إذا حضر وقت الصلوة
يتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلام
إذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش
أن يتغير لونه فقيل له في ذلك وروي مثل هذا عن السجاد عليه السلام وعنه عليه السلام أنه كان
إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون
بين يدي من أريد أن أقوم قيل ورأيته عليه السلام يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم
يسوه حتى فرغ من صلاته فسألته عن ذلك فقال ويحك أتدري بين يدي من كنت إن
العبد لا يقبل منه صلوة إلا ما أقبل منها فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا إن الله

يتم ذلك بالنوافل وعن الصادق عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة
تغير لونه واذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا وعنه عليه السلام قال كان ابي يقول كان علي
بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه
وعنه عليه السلام انه سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل
له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته قيل وكان لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة الطور حين قال انني
انا الله وعنه عليه السلام قال لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت
فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته
ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وايده مع مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر عليه السلام
قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له
الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امرنا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة
ان قيل المستفاد من هذه الايات والاخبار ان الصلوة من يغفل عما يقول فيها ويفعل
ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم يشترطوا الا حضور القلب عند
التكبير والتوجه فكيف التوفيق قلنا فان للمصلي في صلوته ودعائه مناجاة ربه
كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ولا شك ان الكلام مع غفلة ليس بمناجاة والكلام الاعراب
اما في الضمير ولا يتضح الاعراب اما في الضمير الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله اهدنا
الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد
والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه

فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن
المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها
هذا حكم القراءة والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا والتعظيم كيف
يجتمع مع الغفلة فاذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيهما
للمشقة ما يستحق ان يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام
فيقدم على سائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان بين القبول والا
جزاء فرقا فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الآخرة ويقرب الى الله زلفى والمجزي
ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يثبت القبول عليه والناس مختلفون في تحمل التكاليف فا
لتكليف انما هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم
جميعا احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم
يكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في لحظة
واحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر في التكليف بذلك ونحن مع ذلك
نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة
اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا
صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا
في باب العقائد الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق احد الاسباب
المانعة للتصريح بكل ما ينكشف من الاسرار الشرعية بل حاصل الكلام ان حضور القلب
هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير والنقصان منه هلاك

وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل
في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة
يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فاما اولا حضور القلب ونعني
به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر
جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه
فقد حضور القلب ثم التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا
مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي
اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن
والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك
ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من
الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل ربما يخاطب
غيره بكلام هو حاضر القلب فيه متفهم لمعناه ولا يكون معظما له ثم الهيبة وهي زائدة على
التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشاؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخوف
لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الاجلال ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحياء ومستنده استشعار تقصير
وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى
فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا

فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة
الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان
والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم
بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة واما التفهم فسببه بعد
حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب
مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها اعني النزوع من تلك الا
سباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم ينقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا
اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا يصفو له
صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله
وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة
حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والا
نكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب
لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره
صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس
وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ
مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا
مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع

وبالجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه
ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث
من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم
حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها
وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع
على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا
انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء   اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا
منه وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة
القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة
فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب
توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع
او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره
ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض
ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان
يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع
وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم

سعته

سعته بقدر السجود ليكون اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر
ولا يجاوزونه موضع السجود كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم
واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعب الهموم به في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد
بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا
طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل
التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول
المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره
فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل
الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار
القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة لشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع
عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه
فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه ولا يخفى عنك ذلك فان ما ذكرناه من التلطف
بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي
القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك
ثم تغلبك وينقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو
له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطردها بخشبة في يده ويعود الى فكره
فيعود الى العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا اسير السواني ولا ينقطع

فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل
يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يخلو العبد منها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها
ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح
بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا
انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة
وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة
وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم فيهما
بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او
ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة
في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بالخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج
منه الخل لا محالة ولا يجتمعان   اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة
وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون
باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك

قال

قال النبي ص وآله ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر
بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله
هو الاول والآخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما
فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي
صلى الله عليه وآله وتادب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وحرك نفسك واسع
بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك
بتكبير الله وتعظيمه واختم بذكره كما افتتحت واجعل مبداك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك
على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم   اذا اتيت بالطهارة في مكانك
وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل
عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم
على الترك في المستقبل فطهرها باطنك فانه موقع نظر معبودك قال الصادق عليه السلام وطهر
قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ثم اذا
سترت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس فاخطر ببالك فضائح سرائرك التي لا يطلع عليها
الا ربك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم
والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها
فتذل بها نفسك وتنكسر تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء
الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه بالحياء والخوف وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام ازين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل ولباس

ولباس التقوى ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله ليستر بها عورات بني آدم وهي كرامة
اكرم الله بها عباده ذرية آدم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لاداء ما افترض الله
عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى
العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين ومورثة القسوة
في القلب واذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما
لبست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله
عز وجل حيث خلق اسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة لتستر
بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه
واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وامره واحذر ان يفنى عمرك بعمل غيرك
ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل
واوفر اسباب العقوبة في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك
ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الآفات خائض في بحر رحمة الله يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة
والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا عظيما
لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته
هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك
وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا
وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو

فعال

وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة
له والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن
كافقر عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والا
الاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته
وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته فقد صلحت لخدمته فادخل فلك
الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضي الاجل واذا
علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما
يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته
قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه   واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهه عن
سائر الجهات الى جهة بيت الله اشارة الى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله تعالى
مطلوب بامثل هيئتها فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط
للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت
في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه
بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب
الى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد الى الصلوة وكان هواه وقلبه الى الله
انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله
وجهه وجه حمار وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة
فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان

ومن كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة
عقله للامور العلوية وعدم علمه بالعلوم الطاهرة وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا
استقبلت القبلة فايس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك
عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا
الى الله مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجاء   واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب
بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطئا منكسا وليكن وضع
الراس عن ارتفاعه منبها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر
وليكن على ذكرك هيهنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم
في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض
ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ
ومرقوب بعين من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند
ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب
نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك
عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى سئل النبي صلى الله عليه وآله كيف
الحياء من الله فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك   اذا توجهت
بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسة عبادتك في جنب عظمته واعطاء
همتك من القيام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته وتفكر عند قولك اللهم

انت

انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك
بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عنه عند قولك عملت سوء او ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ولاحظ دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ووقوفك
بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداع اذا دعاه ويسمع نداك وان بيده خير الدنيا
والآخرة لا يبعد عنه عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك ونزهه عن الظلم والشر
وابدله بها عن الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت واعترف
له بالعبودية وان قوام وجودك وبدوه ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك
ولك واليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده هو الذي يبدء الخلق
ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه الحقائق وترق منها الى ما ينفتح عليك من الاسرار والدقائق
وتلق الفيض من العالم الاعلى   واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى وامتثال امره
بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك
وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي
وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك
من الخوف   واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل شيء واكبر من ان يوصف او ان
يدرك بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك
وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام
صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه النبي صلى الله عليه وآله رسول الله فان كان هواك

اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك
ان يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك
لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع انه اذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى
اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني
وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي فاختبر
انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك
مسرورا بمناجاته متلذذا بمخاطباته فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك والا فقد عرفت من سلب
لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه
واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
مسلما وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس
عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به
الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه هو الى اماينه وهمه في البيت والسوق متبع
الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض واياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة
بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال
في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا
مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال

واذا قلت

واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك
واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم
الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه
موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت
لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك
ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبدله بما يحب الله لا بمجرد
قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو
ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبدل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي
هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله
عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود
له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده
ان يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما يشغلك
عن معاني القراءة فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة
فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان
فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه

قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او
يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم
فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم
ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله
ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده
نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح
لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الا
الاخلاص بقولك اياك نعبد واياك نستعين وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول
والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة
اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت
من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله ومن التحميد
ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل
اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا
وتاكيدا واستشهادا بالذين انعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى
والصابئين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر

عنه

عنه قال النبي ص قال الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها
لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى
قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته
فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السور
كما ياتي في باب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار
انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم
حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء
ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك
لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق
الاذكار والتسبيحات ايضا ثم تراعي الهيبة في القراءة فترتل ولا تسرد ولا تعجل فان ذلك ايسر
للتأمل وتفرق بين نغماتك في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم كان
بعضهم اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان
يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرأ وارق فكلما قرأ اية صعد درجة
واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال
النبي ص ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الرأس والعين عن
الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات عن الصلوة فان التفت
الى غيرها فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود

اليه والزم الخشوع القلب مهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وآله وقد رأى مصليا
يعبث بلحيته هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء
اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم
من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن
يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن
جلال الله وعن اطلاع على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين وأما الركوع فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك
مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك و
تجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك
وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه
اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه
راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف
ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخشوع والتذلل
فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن مد
العنق في الركوع فقال تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله
في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول

في الركوع

صلح للثاني وفي الركوع ادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل
تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين وحكي
ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا هو اصبح يزفر وقال آه سبق
المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته
الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده فان الله تعالى يرفع عباده
بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم
ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل
الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب
للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك من التراب خلقت واليه رددت
فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان المرة الواحدة
ضعيفة الآثار فان رق قلبك وظهر لك ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع
الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد
التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل ما معنى السجدة
الاولى قال تأويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتأويل رفع رأسك ومنها اخرجتنا
والسجدة الثانية واليها تعيدنا ورفع رأسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما افلح
من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافل لاه عما اعد الله للساجدين من انواع العاجل

في التشهد

وراحة الآجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء
ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب
يطأه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه
بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا
بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان
قلبه متعلقا في صلواته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه
في صلواته قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لا اطلع
على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي وجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته
ومن اشتغل في صلواته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين
واذا جلست للتشهد بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار
الجسيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع
على وجهه فاجعل يديك صفرا من فوائدها الا ان يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص
بفضله وارجع الى الاصل الاصيل واصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي
من دخله كان آمنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم
ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله ببالك واشهد له بالوحدانية العبودية والرسالة وصل
عليه وعلى آله مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضا بها لتأسيس مراتب العبادة
فانهما اول الوسائل واساس الفواضل مترقبا الاجابة صلى الله عليه وآله بصلواتك عن الى صلوته

اذا اتممت بحقيقة صلواتك عليه التي لو وصل اليك منها واحدة افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام التشهد ثناء على الله فكن عبدا له في السر خاضعا له في الفعل كما انك
له عبد في القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده
بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي الخلق
بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا
باذنه وارادته قال فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك
بالصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته
وانظر الا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلوته واذا فرغت من التشهد
فاحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية انبياء الله والائمة عليهم السلام
والحفظة لك من الملائكة المحصين لاعمالك واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين
العابثين واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة
ورأفته الكاملة في اجزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا عن درجات القبول منحطا
عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما القوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدم من المقصودين
وليقصدوا هم الرد عليك ايضا ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثان فاذا فعلتم ذلك
فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم من الله مزيد الاكرام وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه
خالصا لله خاشعا قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة والسلام

اسم من اسم الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والاضافات
وتحصيل مصالحهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم فان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي
معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك
حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك
فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام
ولا سلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق   اعلم ان تخليص
الصلوة من الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع
والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة
قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون مدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة
وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم
يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد المؤمن في
صلوته نظر الله اليه وقال اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق راسه الى افق السماء
ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت
ولا زلت من موضعك ابدا   وتختص صلوة الجمعة باستحسان يومها يوم عظيم
وعيد شريف خصه الله بهذه الامة وجعلها وقتا شريفا للعبادة ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم
من طرده وبعاده وحثهم فيه على الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع
من الاعمال وجعل اهم ما يقع فيه من طاعته وما اوجب الذي يعم الكل فيه صلوة الجمعة وعبر عنها

في محكم

في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوات التي هي افضل القربات بالذكر فقال
سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ما يتنبه له من لاحظ
من المعاني ومن اهم رموزها التسمية عن الصلوة بذكر الله فانه تنبيه على ان الغرض الاقصى
من الصلوة هو ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا واشباهه هو السر في كون الصلوة
ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو المعنى
الاكبر والاكثر على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا فلا جرم وجب
الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه
والمثول في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف
والتطييب والتعمم وحلق الراس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل ما امكن
وعمل خالص من شوب خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا ولا تقصد بهذه الوظايف حظك
من الرفاهية فتخسر صفقتك وتحبط بعد ذلك حركتك وكلما امكنك تكثير المطالب التي يترتب
عليها الثواب بعملك فاقصدها بتضاعف ثوابك عليك بقصدها ان امكنك ذلك
واما صلوة العيدين فاحضر في قلبك الثاني يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب
على من قبل صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك والابتهال الى الله
تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة
من خيبة الرد وخذلان الطرد فليس ذلك اليوم عيدا لمن لبس الجديد وانما هو عيد لمن امن

الوعيد وسلم من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله باستقبالك
له يوم الجمعة من الوظايف بين يديه واسباب التهيؤ والاقبال بالقلب على ذلك الوقوف
بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه ولا تجعل فرحك وجل همك بعيدا لم تخلق لاجله من متاع
الدنيا بكثرة عوائد الله فيه على من عامله بمتاجر الآخرة   واما الآيات فاستحضر عندها
اهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلائق وخوفهم من الاخذ
والنكال والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع
والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة
وانك لو تبت الى الله من ذنوبك واخفيت التوبة عسى ان ينظر اليك وانت منكسر النفس
مطرق الراس مستحي من التقصير فيقبل توبتك ويسامح هفوتك قال الصادق عليه السلام لا يفزع
للآيتين ولا يرهب لاسيما كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله وراجعوه
وقال الرضا عليه السلام انما جعلت للكسوف صلوة لانه من آيات الله تعالى لا يدري الرحمة ظهرت ام العذاب
فاحب النبي صلى الله عليه وآله ان تفزع امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم
مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل   ينبغي للمصلي ان يعقب فرايضه
بالذكر والدعاء فقد ورد في فضائلهما ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى اما الذكر فالنافع
منه هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات والذكر
اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب والمطلوب منه ذلك الانس فان
العبد في بداية الامر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله تعالى

فان وفق

فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر
ذكر شيء وان كان متكلفا احبه ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله
يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع
العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت
عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه
عما به انسه وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر
الى اللقاء واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي وعن الباقر عليه السلام في قوله
تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال هو الدعاء وافضل
العبادة الدعاء وقال في قوله سبحانه ان ابراهيم لاواه حليم قال الاواه هو الدعاء وسئل
عليه السلام اي العبادة افضل فقال ما من شيء افضل عند الله من ان يسأل ويطلب مما عنده
وما من احد ابغض الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده وقال امير المؤمنين عليه السلام
احب الاعمال الى الله تعالى في الارض الدعاء وكان عليه السلام رجلا دعاء وقال عليه السلام الدعاء
مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة
وبالاخلاص يكون الخلاص فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين
بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن فيه من الحق والباطل واعرف طريق نجاتك
وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو

ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا فتفكر ماذا تسال ولماذا تسال والله ما
استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور
كلها ظاهرها وباطنها الى الله فان لم تأت بشرائط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى
فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا
اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء قال فانما
اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان
يعجل لك ما سالت واما ان يدخر لك ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما ان لو ارسله
عليك لهلكت وروي عن الصادق عليه السلام انه قرأ امن يجيب المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا
ندعو ولا يستجاب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه وتسئلون ما لا تفهمونه فالاضطرار
عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان من لا يعرف ذلة نفسه وقلبه
وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرائة
على الله   في تلاوة القرآن قال النبي صلى الله عليه وآله القرآن هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد
من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القرآن
الا الى النار قال صلى الله عليه وآله انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي
ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وقال امير المؤمنين عليه السلام في وصاياه لابنه محمد بن
الحنفية وعليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه

والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى خلقه فهو واجب
على كل مسلم ان ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية واعلم ان درجات الجنة على قدر آيات
القرآن فاذا كان يوم القيمة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين
والصديقين ارفع درجة منه وعن الباقر عليه السلام يجيء القرآن في احسن منظور اليه صورة
فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو منا فينتهي
الى رب العزة جل وعز فيقول يا رب فلان بن فلان لم اظمأت هواجره ولم اسهرت ليله فيقول
الله ثم ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ وارق قال فيقرأ
ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها وعن النبي صلى الله عليه وآله ما يقرب منه
مع زيادات وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بالحان العرب
واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكبائر فانه سيجيء بعدي اقوام يرجعون القرآن
ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم
وعنه عليه السلام انه سئل عن قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال قال امير المؤمنين
عليه السلام تبينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم
القاسية ولا يكن هم احدكم آخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان
الحروف وعن الصادق عليه السلام هو ان تتمكث وتحسن به صوتك وعنه عليه السلام قال القرآن نزل
بالحزن فاقرأوه بالحزن وعن النبي صلى الله عليه وآله اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
وعن الصادق عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت
الحسن وعنه عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام احسن الناس صوتا بالقرآن وكان

السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته   في مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا ووجلا في سره فقد استهان
بعظم شان الله وخسر خسرانا مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن
فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الا
الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده فاذا اتخذ
مجلسا خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاولتين استانس روحه وسره بالله
ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون
كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال
حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة
فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل
حدوده فانه كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا
وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه
في اضاعة حدوده   ينبغي لتالي القرآن من امور باطنية منها فهم عظمة الكلام وعلوه
وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف
لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت
لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله
الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام
عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله

موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا وهذا كما انه
الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها
وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار العقل مع حسنه وترتيبه
وبديع نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها
لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها لكي تطيق حملها وكذلك اجساد
البشر تكون وتعجز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي
المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد
المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم
قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم
ويستضيئون به على حوائجهم فقط   ومنها التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن
ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلامه غاية الخطر
فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس
الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا
منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا
يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ومنها حضور القلب وترك حديث
النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس
ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس

بالفكر في غيره وهو في منتزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو
لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها
ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليمكن من التدبر في الباطن قال امير المؤمنين عليه السلام
لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد
فليردد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ليلة باية يرددها
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومنها التفهم وهو
ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر
احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره
وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الصفات والاسماء
لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار امير المؤمنين
عليه السلام بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي
الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم واما افعاله فكذكره خلق
السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل
دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء منه واليه وبه وله ومن لا يراه في
كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك

الا وجهه

الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه
صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا
سمع نصرهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود
وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار
في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك
لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
ومنها التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب
اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال النبي صلى الله عليه وآله لولا
ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة
الملكوت لانها انما تدرك بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون
الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل
بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل
اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى ينكشف
له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون
مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع
من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا
يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل

عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ثالثها
ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك
سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله اذا عظمت امتي
الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي
وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا
من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي
الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه
لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يدري به ما معنى التفسير بالرأي ولا يفهم معنى قول امير المؤمنين عليه السلام
الا ان يؤتي الله العبد فهما في القرآن وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه
ومنها التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو
المأمور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود
وانما المقصود الاعتبار فليأخذ ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة
في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه
عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا
والقرآن ما انزل على رسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك
امر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل

اليهم

اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد
القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القرآن رسائل
اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في
الطاعات بالسنن المتبعات ومنها التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب
اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف
والرجاء وغيرها ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب
على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها
كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتو
اصوا بالصبر ذكر اربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب
من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك
فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قيل ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن
به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته
فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط
يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح
وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار

ما يستحيل على الله تعالى كذكره الله ولدا وصاحبة فيغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم
وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها فا
لقران انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب وللعمل به والا فما المؤنة في تحريك اللسان بحروفه
خفيفة بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى اي تركتها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق
تلاوته ان يشترك فيها اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ
العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان واعظ
والعقل مترجم والقلب متعظ ومنها الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام
تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى
واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق
والتضرع والابتهال ثم ان يشهد بقلبه كانه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات
الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه
بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه
درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين وعن
الدرجة العليا اخبر الصادق عليه السلام فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن
لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه

قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض
الحكماء كنت اقرأ القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله
يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل عليه السلام
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به
فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه ومنها التبري واعني به ان يتبرأ من حوله
وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين
فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم
واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفا قا
والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية
فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه
بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب وراءها ومن
شهد القرب يلطف به بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب
في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان
شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله
في قراءته انكشف له الملكوت بحسب احواله فحيث يتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار
فينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار
حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف

والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة
الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر
يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام
راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف
لا يهمل في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال
النبي صلى الله عليه وآله اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر عليه السلام ان الله تعالى قرن
الزكوة بالصلوة فقال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة فلم يقم
الصلوة وقال الصادق عليه السلام ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة
وفيها تهلك عامتهم وقال من منع قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وقال عليه السلام ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة
ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه
فاذا راى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم يصير طوقا في عنقه وذلك
قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة
ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطؤه كل ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات
ناب بنابها وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله ريعة ارضه
الى سبع ارضين الى يوم القيمة وقال عليه السلام انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء
ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى
بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء

وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق
انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك
اليوم وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين
بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله حسب الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة
وعشرين درهما ولو علم ان ذلك لا يكفيهم لزادهم وقال عليه السلام ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شيء
ظاهر انما حقن بها دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة وان عليكم في اموالكم غير
الزكوة فقال سبحان الله ما تسمع الله تعالى يقول في كتابه وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
قيل فما ذا الحق المعلوم الذي علينا قال هو والله الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في
الجمعة او في الشهر قل او كثر غير انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض يقرضه
والمعروف يصنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه
فعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال ليس من الزكوة وقال عليه السلام انما اعطاكم الله هذه الفضول
من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل عليه السلام
كم تجب الزكوة من المال فقال اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستأثر
على اخيك بما هو احوج منك المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ثم صلة من يجب
صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ثم كل صدقة على فقير او مروة اليه او الى غني بالضيافة
والهدية والاعارة ونحوها جلبا للخير او دفعا للشر دينيين او دنيويين سابقين شرعا

شرعا او ايصال نفع عام ببناء مسجد ونحوه او خاص كارشاد الضال والتعليم وقرائه
المرادة للمتعفف والعدل وقضاء حاجة المؤمن وانظار المعسر والتحليل والقرض والحمل على
الدابة وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع على العيال والتبسم في وجه اخيه واعارة
المتاع واطراق الفحل وغير ذلك فقد يسمى الكل بالصدقة سوى المبرات وورد كل معروف
صدقة والبر يشمل الجميع وربما يخص بما سوى الصدقة وورد ان البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان
في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء وورد صنائع المعروف تقي مصارع السوء ويشترط
الانفاق القوام قال الله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وعن الصادق عليه السلام انه تلا هذه الآية فاخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال هذا الاقتار
الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف ثم اخذ
قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام ولا باس بالرجل اذا امسك
ماله مراقبا لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصده في الادخار الانفاق عند
الحاجة الى وجوه البر بما ظهر وجوهه قال النبي صلى الله عليه وآله افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى
يعني ما يكون بعد الغنى والمؤنة لئلا يكون القلب متعلقا بما يعطي وقال افضل الصدقة صدقة
تكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف وقال لا يلوم الله على الكفاف يعني على
ما يكفيه به   اعلم ان الفرق في ايجاب الزكوة وانفاق المال امتحان العبد وفيه ثلثة
معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود
وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل
الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال

والاموال

والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت
مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا من المال الذي هو
مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي صلى الله عليه وآله ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وانما تزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس
على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك
وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى والمعنى الثالث
شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية
شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح
نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى في اغنائه عن السؤال   ينبغي للمنفق ان يغتنم الفرصة مهما
ظهرت داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك وان لا يحوج الفقير
الى السؤال فورد انه مكافاة لوجهه المبذول ولو عوض لما اخذ منه وليس بمعروف ويعين لغيره الموقت وقتا
فاضلا كشهر رمضان وسيما عشر آخره وذي الحجة وسيما عشر اوله والعيدين وغيرها المستحب بحيث
لا يدري شماله ما يعطي يمينه قال الصادق عليه السلام الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية
وكان عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ جرابا فيه خبز ولحم والدراهم فحمله

على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى عليه السلام
فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله عليه السلام ومعنى اعتم دخل في العتمة وعن النبي صلى الله عليه وآله
صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال الصادق عليه السلام كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من
اسراره وكل ما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية
كان ذلك حسنا جميلا وقال في قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي
سوى الزكوة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح
تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وينبغي ان يستصغر الاعطاء ليعظم عند الله تعالى وهو من التوفيق والثواب قال الصادق عليه السلام
رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته
عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان
غير ذلك محقته ونكدته ويعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة قال الله تعالى ويجعلون
لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي
لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وان يعظمه
ان قدمه فورد اذا اعطيته فاغتنمه ويقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع في يد الله تعالى اولا
قال امير المؤمنين عليه السلام اذا ناولتم السائل فليرد الذي يناوله يده الى فيه فيقبلها فان
الله عز وجل ياخذ الصدقات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقع الصدقة المؤمن في يد السائل

حتى تقع

حتى تقع في يد الله تعالى ثم تلا هذه الآية الم يعلموا ان الله يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى يقول ما من شيء الا وقد وكلت به من
يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل ليتصدق او المرأة لتتصدق
بالتمرة او بشق التمرة فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلقاني يوم القيمة وهي مثل جبل احد
واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من الآخذ لان دعاءه يستجاب فيه وان يصرف الى من يكثر باعطائه
الاجر بكونه متقيا عالما صابرا عالي النعمة من الله تعالى ساترا للحاجة محصورا في سبيل الله محبوسا في طريق
الآخرة بمرض او عيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب من الاسباب ويكون برفع اهل العلم والايمان
من الزكوة الواجبة والصدقات لانها اوساخ الاموال ومن الحب احدكم ان يغسل يده ثم يصبه على
اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فيوسع عليهم بالهدايا والصلات ويبدأ بمن
يعول ثم الاقرب فالاقرب والاهم فالاهم وورد ان افضلها على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض
وكانه المخالفة للهوى وورد لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة
الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وان يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر
بها البلاء ولا يرد السائل الا بلطف وورد اكرم السائل ببذل يسير او رد جميل اطعموا ثلثة
وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم وان يغتنم السائل سيما فيما رق
له القلب فهو علامة صدق السائل ويستحب اللطف بنفسه عند فقده ولا يحتقر ما عنده وورد
لا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه وورد افضل الصدقة جهد المقل وان يملك
ما تصدق به اختيارا او تفسيم صدقة الغير وان يحمد المعطي ويجتنب المن والاذى
قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها

الذي والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف بحقوق الستعباد حنانية القابض على العطاء والمحسن هو القابض لايصاله الى الثواب والانجاء من العقاب وكونه نايبا عنه تعم وهو حق الله عز وجل احال عليه الفقير اخبار الماء وعلن من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول السيئ والقطوب والاستخدام وهتك الستر والاستخفاف وسبيله استكثار العطاء والتكبر على القابض الذي يشبعني من الجهل بوجدان رضاء الله تعم على حسنيين فاده وبيان فضل الفقير وعن الصادق ع
قال كان امير المؤمنين عم انه يقول من علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا يلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وعن الباقر عليه السلام انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيي ان ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة فقال اعطه ولا تسم ولا تذل المؤمن ينبغي للاخذ ان يعلم ان الله تعم امر المعطي بصرفه اليه ليكفي همه ويتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال النبي صم وآله من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال الصادق عليه السلام قاطع سبل المعروف قيل وما قاطعوا سبل المعروف قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول الجميل وعن النبي صم وآله من اتى اليه معروف فليكافئ به وان عجز فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة وعن الصادق عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام يقول من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه ومن اضعفه كان شكورا ومن شكر كان كريما ويستر عيوب صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم

عن نفسه

عند نفسه وعند الناس صغيره بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون مشركا فقد قال الصادق في قول الله تعم وما يؤمن اكثرهم الا وهم مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل الله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا ونحوه وان يتوقى مواقع الريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا ياخذ مما لا يحل ماله ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا يسال على رؤس الملا ممن يستحيي الرد ويتورع العالم من اخذ الزكوة ما لم يضطر اليه تنزيها لنفسه من الاوساخ وان يسر الاخذ بنيته انه ابقى لستر المروة وكشف الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة واعانة للمعطي على الاسرار واصون لنفسه من الاذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار شركاء فيها او يظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبس الحال واسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة سنة الشكر وغير ذلك مما يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فليراقب ذلك فانه موضع الغرور ينبغي للمؤمن ان لا يسال الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يستعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيمة قال النبي صم واله يوما لاصحابه الا تبايعون فقالوا قد بايعناك يا رسول الله قال تبايعون على ان لا تسالوا الناس شيئا فكان بعد ذلك تقع المخصرة من احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها وقال صم واله لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسال وقال من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ولا يسال احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسألة يوما الى ان يسال من غير حاجة ونظر عليه السلام يوم عرفة الى رجال يسالون فقال هؤلاء شرار من خلق الله

في السؤال

الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على غيره وقال الباقر عليه السلام اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه السلام طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزة ومذهبة للحياء والياس عما في ايدي الناس عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق عم الم شيعتنا من لا يسال الناس شيئا ولو مات جوعا وقال عم السلام لو يعلم السائل ما عليه اذا منع ما صنع من الوزر ما سال احد احدا وقال من سال عن غير حاجة اذا منع ما منع احد احدا وقال من سال من غير حاجة فكانما ياكل الجمر وسال رجل النبي صم وآله فقال اسئلك بوجه الله فامر النبي صلى الله واله فضرب خمسة اسواط ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا تسال بوجه الله الكريم اعلم ان للجسد زكوة كما ان في المال زكوة وهو نقصه بما يريد الاجر والبركة اما اضطرارا بان يصاب بافة واختيارا بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية فعن الصادق عم انه قال قال النبي صم وآله يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصاب بافة قال فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه قال فلما راهم قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون ما عنيت بقولي قالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك

في ذم السؤال بغير

كالاعراض

والاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين وايقاظ الغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والسخاء بما انعم الله به عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعم والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك هذا ما تحتمل القلوب وتفهم والنفوس من استعماله وما لا يشرف عليه الا عباده المقربون المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي صم وآله لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام

في الصوم قال الله تعم كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال النبي صلى الله عليه وآله الصوم جنة من النار قال الصائم في عبادة وان كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال قال الله تعم الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقال الباقر عليه السلم بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة والزكوة والحج والصوم والولاية وقال الصادق عليه السلام من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر فاصابه ظما وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله تعم ما اطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له وان يخص النفس بالتحريك وقال نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب وقال الكاظم عليه السلام قيلوا فان الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم الا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة

التشبه بالملائكة الروحانية لكونه نوع فضل ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه
يدفع حر الشهوة والغضب اللتين هما شعبة نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز
له في الآخرة كما ان الجنة تدفع عن صاحبها حر الحديد وانما قال ما لم يغتب مسلما لان
الغيبة كلحم الميتة فهو نوع من الاكل يقوى به البدن وانما كان الصوم لله وشرفا
بالنسبة الى الله وان كان العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض
كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد
فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يعلمه الا الله فانه عمل في الباطن بالصبر
المجرد خالص لله وجزاؤه من عنده خاصة من غير مشاركة احد فيه والثاني انه قهر لعدو الله
فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب لذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع فا
لشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا
يترددون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما
السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعار التوفيق من الله عز وجل
على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء المقاساة ونيل المشتهيات وسبب
الفرحة عند لقاء الرب اما للخواص فحصول صفاء القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة
والغضب المظلمتين له بالجوع الباعث لهم ان يعبدوا الله عيانا كانهم يرونه وهو المعنى
باللقاء وخلوف الفم تغيره وانما صار اطيب عند الله من ريح المسك لانه سبب طيب

الروح

الروح الذي هو عند الله

الروح الذي هو عند الله من الانسان كما ان بدنه عند نفسه واليه يشير في قوله تعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق وابن طيب الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي معنوي والثاني جسماني
حسي صوري   اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص
الخصوص واما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف
السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الآثام قال الصادق عليه السلام اذا صمت
فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم
فطرك وقال في خبر آخر ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام فان رسول الله
صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت اني صائمة
فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب
فقط وعن النبي صلى الله عليه وآله انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا
يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وقال النبي صلى الله عليه وآله من اغتاب
مسلما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال
كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وقال الصادق عليه السلام ان الكذبة لتفطر   العطش
الصائم قيل وايّنا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على الله وعلى
رسوله وعلى الائمة عليهم السلام ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة وغيرهما مما لا
يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج
من عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب الصلوة ولذلك شرطنا ذلك في الصوم الخصوصي

دون العموم واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية
وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر
في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا قال ارباب القلوب من تحركت
همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله
وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي مقابلها
من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن
ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره
ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع
الاطعمة منه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس
على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت
رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من
الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى
التي هي وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل
الاكلة التي ياكلها كل ليلة لو لم يصم واما اذا جمع ما ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم
ينتفع بصومه ويخف عليه تهجده وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها
شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب
ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو

الامر

الامر كله ومبدا ذلك تقليل الطعام   في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فاذا صمت
فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان فانزل نفسك منزلة
المريض لا يشتهي طعاما ولا شرابا متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر باطنك من
كل كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله
قال الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء
القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان الى الفقراء
وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف
الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبها لمن عقل ووفق
لاستعماله   في الحج وزيارة المشاهد قال الله تعالى ولله على الناس حج   حج
البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقال النبي صلى الله عليه وآله
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقال الصادق عليه السلام من مات
ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان
يمنعه فليمت يهوديا او نصرانيا والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة
في مواضعها مع كيفية اعمالها واما بيان السر فيهما فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى
الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله
سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن
الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا اللذات

الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تع عليهم في كتابه تعالى
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله قال وذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد
لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله لاحياء طريق الآخرة وتجديد
سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وآله
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون
فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه و
نصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه
على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين
لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان
يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك
وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار
بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية
فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ
للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى بافعال هي هيئات
التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله فاما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس
ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد

وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف
النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك
الميل معينا للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله
في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة
الله تع ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع
فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه
ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق
واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات
وقد ظهر مما ذكر ان قاصد البيت قاصد الى الله وزائر له فبالحري ان يفوز بلقاء الله في ميعاده المضروب
له والشوق الى لقاء الله مشوق الى اسباب اللقاء فليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب
الرياء وغيره   بل ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب
الى الله توبة نصوحا خالصة ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها الى الله
بوجه قلبه ويقدر انه لا يعود وليكتب وصيته لاهله ولاولاده ويتذكر بسفر الآخرة فان
ذلك بين يديه على قرب وان يتأدب بآداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولا سيما
توسيع الزاد وتطييبه وطيب الكلام ولينه وخفض الجناح ما استطاع فورد بر الحج طيب الكلام
واطعام الطعام وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاغتمام بالانفاق وما اصيب في المال
فدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان يكون قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم
شعائره محضرا عند كل حركة وسكون منه ذكر انه امر الآخرة بما يناسبه ويكون اشعث اغبر

اغبر غير متزين وبالمشي ان قدر خصوصا بين المشاعر فورد ما عبد الله بشيء افضل من المشي وتقليل
النفقة مع اليسار فان الركوب حينئذ افضل كما ورد سيما لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في
العمل فورد لان اركبه احب الي فان ذلك اقوى على الدعاء والعبادة وكان الحسن بن علي عليهما السلام
يمشي ويساق معه المحامل والرحال واذا حضرت الراحلة فليشكر الله بقلبه على تسخيره له الدواب
لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة فاذا دخل البادية متوجها الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات
فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا الى الموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما من الاهوال و
المطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب
القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته
ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر وليتذكر عند لبس ثوبي
الاحرام لبس الكفن ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى
بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف
لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما الكفن واما الاحرام
والتلبية بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا
لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف مترددا عن حوله وقوته متبريا وعلى فضل الله
وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر وقد ورد ان السجاد عليه السلام
لما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي
فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط
من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه   واذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى

الى حرم امن وليرج عنده ان يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول
الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكريم عميم وشرف البيت عظيم
وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع فاذا وقع بصره على البيت فينبغي ان يحضر عند مشاهدة
البيت في قلبه عظمته وكأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه الله لقاءه كما رزقه
لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه واما الطواف
فانه صلوة فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والوجل والمحبة ما سبق في باب الصلوة وليعلم انه في
الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود
طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا به ولا يختم
الا به كما يبتدي الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف هو طواف
القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر
وهو في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر
وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب
والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة
به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه
بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فليعلم انه بمنزلة
اليمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح
بها خلقه مصافحة العبد او الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة اراد بالركن
الحجر الاسود لانه موضوع في الركن وانما شبهه باليمين لانه واسطة بين الله وبين

عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا كاليمين حين التصافح والدخيل الملتجي قال الصادق
عليه السلام ان الله تبارك وتعم لما اخذ مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال
امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة وقال عليه السلام الركن اليماني باب
من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه وقال الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه
الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه اعمال العباد انما شبهه بباب الجنة لان استلامه وسيلة
الى دخولها وبالنهر لانه يغسل به الذنوب ولتكن نيتك في الاستلام طلب القرب حبا وشوقا
للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء لا في البيت ولتكن
نيتك في التعلق باستار البيت الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب
من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه
وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل   واما السعي بين
الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا
مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل
على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد واما الوقوف
بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات
واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر عرصات القيمة واجتماع الامم
مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك
الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والا
بتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليحقق رجاءه بالاجابة فالموقف

شريف والرحمة

شريف والرحمة انما تتصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا
ينفك الموقف عن طبقة من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم
وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على
طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ولذلك قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان
الله لم يغفر له واما الوقوف بالمشعر فليستحضر انه قد اقبل عليه مولاه بعد ان كان مدبرا عنه طاردا له عن
بابه فاذن له في دخول حرمه فان المشعر حلية الحرم وعرفات خارجة عنه فقد اشرف على باب الرحمة
وهبت عليه نسمات الرأفة وكسي خلع القبول بالاذن في دخول حرم الملك واما رمي الجمار فليقصد به
الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم ليقصد
به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره
الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فليعلم انه في الظاهر يرمي الحصا الى الجماد وفي الحقيقة يرمي
به وجه الشيطان ويقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير
حظ العقل فيه واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدي واجزاءه وليرج
ان يعتق بكل جزء منها جزءا منه من النار كما ورد الوعد به   وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
اذا اردت الحج فجرد قلبك لله تعم من كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك
وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا
والراحة والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك وراحلتك
واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضا الله

واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم انه ليس قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله
وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن
نبيه صلى الله عليه وآله وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة
وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفا
والخضوع والخشوع واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة
صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة
حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرأ من حولك وقوتك
واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا
بعرفات وجدد عهدك عند الله تعم بوحدانيته وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى
الملأ الاعلى بصعودك على الجبل واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة
والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في
امان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودخول البيت متحققا
لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودع ما سواه
بطواف الوداع واصف روحك وسرك للقاء يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن بمرأى من الله
نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك
واوجبته له الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالا
ضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولا شرع

بنبيه سنة

نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا للاستعداد والاشارة الى الموت والقبر
والبعث والقيمة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة
مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى   واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره
على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وجعل اليها
هجرته وانها دار التي فيها شرع فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه
الله ثم جعل تربته فيها ثم ليتمثل في نفسه اقدام رسول الله صلى الله عليه وآله عند تردداته فيها
وانه ما من موضع قدم الا وهو موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل
وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته
ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته فاه
تزل حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا يامن ان يحال بينه وبينه لبطلان رزقه الا
الايمان واشخص ربه وطنه زيارة تحية له وشوقا الى ان ينظر الى اثاره والى حائط قبره فاذا
بلغ المسجد فليتذكر ان فرائض الله تعم اول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم امله في الله
ان يرحمه بدخوله اياه خاشعا معظما وما اجدر ذلك المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل
مؤمن واما زيارته صلى الله عليه وآله فينبغي ان يقف بين يديه ويزوره ميتا كما يزوره
حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه
وزيارته وانه يبلغه سلامه وصلواته فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه وليحضر
عظيم رتبته في قلبه فقد روي ان الله تعم وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته
هذا حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة

بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة مرقده الكريم قال الصادق عليه السلام اذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فائت المنبر وامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفاء للعين وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسل عليه السلام هي روضة اليوم قال نعم لو كشف الغطاء لرأيتم قال النبي صلى الله عليه وآله من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي السلام فانه يبلغني وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري غدا وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي وبشر اولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي وقال الصادق عليه السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وان زيارة قبر الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة

في ان الحسن بن علي عليهما السلام [illegible]

المعصومين عليهم السلام وثوابها ولا سيما زيارة ابي عبد الله الحسين وابي الحسن الرضا عليهما السلام وتفضيلهما على الحج والعمرة والغزوة اكثر من ان تحصى ولعل السر في فضل زياراتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين وفاطمة وشيعتهم ومحبتهم بل سائر النبيين والوصيين صلوات الله عليهم اجمعين وادخال السرور عليهم واجابة لهم وتجديد لعهد ولايتهم واحياء لامرهم وتبكيتا لاعدائهم وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى من ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة لله عز وجل ومسرة له عز ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه ومن جهة الاتيان بعبادته المامور بها ومسرة لهم من هذه الجهة ايضا فقد ثبت ونقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة كونه مؤمنا فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطاء وطهره من الرجس وجعله اماما للمؤمنين وقدوة للمتقين ولاجله خلق السموات والارضين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وجعله المتصل بينه وبين عباده من رسل وانبياء وحجج واولياء هذا مع ان مقابرهم مشاهد ارواحهم العلية المقدسة ومحال حضور اشباحهم البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون زوارهم عندهم يرزقون وبما اتاهم من فضله فرحون واما الحج والعمرة والغزوة وغير ذلك فانها وان كان فيها انفاق اموال وحباء امال واشخاص ابدان وهجران اوطان وتحمل مشاق وتجديد ميثاق وشهود مشاعر وحضور مشاهد الا انها ليست بتلك المثابة في المثوبة لان هذه انما هي عبادة الله سبحانه واجابة لامره عز ذكره ومسرة له ولا ولاياته بالاتيان بالعبادة فحسب وليست فيها جميع تلك الامور التي نبهنا عليها هناك مع انها تنافي

من كل صنيع للاسلام ما صيب اجلاف ذلك فانها لا تنافي الا من كان يعرف قدر من قبر وطرفا من منزلتهم ولو ناقصا قال الرضا عليه السلام ان لكل امام عهدا في عنق اولياءه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءهم يوم القيمة

في سائر الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب

في التوبة وهي ترك القلب عن الذنب والرجوع من البعد الى القرب ويعبر عنه تارة بترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها ان يكون لله سبحانه لا لمال او جاه او خوف من سلطان او عدم اسباب فان يندم اما الندم اعني تالم القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة وانما المقدور تحصيل اسبابه من العلم والايمان وتحقيقهما في قلبه قال النبي صلى الله عليه وآله الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجب واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني عزمه وثمرته والطريق اليها ذكر ما ورد في فضلها والعلم بقبح الذنوب وشدة العقوبة ورغبة النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة المشتغلة مع الاصرار وخوف الاملاء وعدم الاخذ حالا والاستدراج بالاحسان فيقلع اسباب الاصرار وهي حب العز وحب الدنيا وطول الامل قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح خالصا لله خاليا من الشوائب وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب

ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال الباقر عليه السلام ان الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل واينا لم يعد قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب كثير التوبة وقال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب اعلم ان مهما اشرق نور الايمان على القلب اثر ذلك الندم على الذنب فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس فكان في ظلمة فيسطع عليه النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة تطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر كما اشرنا اليه فمن نظر ولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان علم معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى السعادة الابدية والنجاة من هلاك الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محال بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا

هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به وبدوام ذكره والمحبة له ومعرفة
جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين من حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا من الله وكل علم يراد ليكون باعثا
على عمل فلا يقع التفصي من عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون
باعثا على تركها فمن يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقول النبي صلى الله عليه وآله
لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وما اراد به نفي الايمان بالله ووحدانيته
وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون
الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون
بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله
قول القايل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب
والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم
الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى تتميز عن البهايم المرسلة الملوثة بارواثها المشكلة
الصور بطول مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية
وكانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة
الاصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة
التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان
وهو مقصر في الاعمال قريب من ان ينقلع عنه شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح
العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم

لم يثبت في النفس اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على مواصف الاهوال عند ظهور ناصية
ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات
حتى رسخ وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما تنقطع نياط العارفين من دواهي الكرب
ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون

اعلم ان وجوب التوبة عام في
الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور
البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى
الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة والغضب
وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما
يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين
والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة
اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار
والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة اذا كانت الشهوات تكمل في
الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع
للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويتعسر عليه
النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي
اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان
وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان قوي العقل وكمل كان

وكل كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع
على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع من طريق دليله
الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة
على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة للملائكة
فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان ولما بان وجوبها
على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو احد عن معصيته بجوارحه فان خلا في
بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم
فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان
خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وباثاره بحسب طاقته
وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بتشاغل اضدادها رجوع عن طريق
الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع فلا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص
انما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه الا ان الانبياء والاوصياء عليهم
السلام الذي في نفسهم كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات
وحرمانهم زيادة الاجر بسبب ذلك قال الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله
يخص اولياءه بالمصايب ليأجرهم عليها من غير ذنب يعني من غير ذنب كذنوبنا
فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك

الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو اثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات
قال النبي صلى الله عليه وآله اتبع السيئة الحسنة تمحها وينبغي ان تكون الحسنة الماحية للسيئة
مناسبة لتلك السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القران وبحضور مجالس الذكر ويكفر القعود
في المسجد جنبا بالعبادة فيه الى غير ذلك وليس ذلك شرطا وقد روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض
علي بحكم الله فقال اما صليت معنا فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات
ولا بد ان يكون عن قريب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم
الرين على القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السيئات
بجهالة ثم يتوبون من قريب ... حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال الصادق عليه السلام ذلك اذا عاين
امر الاخرة وذلك لان التوبة مقبولة قبل ان يعاين كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله
ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم
الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله
المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد ان اكثر صياح اهل
النار من التسويف

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة
صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصاير المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب
سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل
فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهقه وجه
من غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن

عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ
مع بياض الصابون ولماء الحار الا ان تراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا وهذا مثل ان يفوص
الوسخ الطويل المتراكم في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال بلسانه
تبت وهذه البيانات كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعم وهو الذي يقبل التوبة
من عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب وقال النبي صلعم ولكن الحسنات يذهبن السيئات
كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال
الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما
يستانف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد
بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن
يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فانه فعل ذلك مرارا
يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه
بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين
من رحمة الله وقال الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به
الجنة قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه
فيرحمه الله فيدخله الجنة اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى
ما يتعلق بحقوق العباد والاول اما مغفور واما مرجو المغفرة قال امير المؤمنين عليه السلام
الذنوب ثلثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه
قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على

ثم

ذنبه في الدنيا والله تعم احلم واكرم من ان يعاقب عبده مرتين واما الذنب الذي لا يغفره
الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا برز للخليقة اقسم قسما على نفسه تعالى وعزتي وجلالي
لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص
للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب
الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فاصبح خائفا من ذنبه راجيا
لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب ولعله عليه السلام اراد بالثالث
التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة للشرايط مقبولة فاذا كانت مقبولة
فالذنب لا محالة مغفور وبعبارة ثانية تنقسم الذنوب الى صغار وكبائر قال الله تعم ان
تجتنبوا كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال النبي صلعم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
تكفر ما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر واختلفت الروايات
فيها فعن الصادق عليه السلام في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال
الكبائر التي اوجب الله عليها النار وعنه عليه السلام انه سئل عن الكبائر فقال هن في كتاب
علي عليه السلام سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة
واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال
اليتيم ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال ترك قيل فما عددت ترك الصلوة في الكبائر فقال اي
شيء اول ما قلت لك قال الكفر قال فان تارك الصلوة كافر يعني من غير علة وعن الكاظم
عليه السلام انه سئل عن الكبائر كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار
كفر عنه سيئاته اذا كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين واكل
الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعن الجواد

عليه السلام قال سمعت ابي يقول سمعت ابي موسى بن جعفر يقول دخل عمرو بن عبيد على
ابي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الاية الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله عليه السلام ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر
من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله ومن يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وبعده الاياس من روح الله لان الله يقول لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ثم الامن لمكر الله لان الله يقول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها
عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
لان الله يقول فجزاؤه جهنم خالدا فيها الى آخر الاية وقذف المحصنة لان الله تعم يقول
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم لان الله يقول انما يأكلون في
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس
المصير واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس والسحر لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف
له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول
الذين يشترون الحيوة الدنيا بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة والغلول لان الله يقول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة
المفروضة لان الله يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وشهادة الزور
وكتمان الشهادة لان الله يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله نهى
عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله لان

رسول الله

لان رسول الله صلعم وآله قال من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله
ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله
صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم ان قيل كيف
ورد الشرع بما لم يبين حده قلنا ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق
اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود
معلومة باساميها وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغاير والصلوات الخمس
لا يكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر
فلا يتجرؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب الكبائر ثم اجتناب الكبيرة
انما يكفر الصغيرة اذا مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف
نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد
تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان
امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه
ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي
والاوتار اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة قال
الصادق عليه السلام لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار مثال ذلك قطرات
من الماء تقع على الحجر على توالي فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم
يؤثر وقال الباقر عليه السلام في قوله تعم ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار
ان يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار ومنها استصغار
الذنب فان العبد كلما استعظم من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر

كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من
شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب و
والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يواخذ
بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا
المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي
لو لم يكن غير ذلك وقال عليه السلام ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد
ان يستخف بالجرم اليسير وقال الكاظم عليه السلام لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل
الذنوب فان الذنوب تجتمع حتى تكون كثيرا وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها
السرور بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة
فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه
فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي
ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله ومنها
ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد
بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله فيكون ذلك لامنه من مكر الله
وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتي
به في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك الى رغبة
الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به
فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية

رابعة وتفاحش الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا
يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال الرضا عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله
المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور
له وقال الصادق عليه السلام من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي
عورة قد سترها الله عليه فنحوه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث
يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم والذهب واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان
في الاعراض ونحو ذلك فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في
العالم فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب
والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزاره فكذلك تتضاعف ثوابه في الحسنات اذا
اتبع   في الحديث النبوي ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان
يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر
يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما
علموا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال امير المؤمنين صلوات الله
عليه لا تبقين عن ذكر وانحيه وقد عملت الاعمال الفاضحة ولا تامن البيات وقد عملت
السيئات وقال الباقر عليه السلام ان الله قضى قضاء حتما ان لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها
اياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة وقال عليه السلام ما من شيء افسد للقلب
من خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله وقال
عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق عليه السلام

اما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك قول الله عز وجل
في كتابه ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال وما يعفو الله اكثر مما
يواخذ به وقال ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه
من السكين في اللحم وقال عليه السلام يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر
شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقال عليه السلام من هم بسيئة فلا يعملها
فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك
ابدا وقال الكاظم عليه السلام حق على الله ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى
تطهر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر
الى ازواجه في الجنة يتنعمن وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك
امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان
اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي
الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة
عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه
بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشا بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق
الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله
وقال عليه السلام ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة اورثت حزنا
طويلا والموت فضح الدنيا ولم يترك لذي لب فرحا   في مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة

على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب السر وتوبة الاولياء
من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة
العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول
شرحه هيهنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته
دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه
فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات
ويستغيث الى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه عن العود الى ما سلف ويروض نفسه
في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء
السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه
الاستقامة في سرائه وضرائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط من درجة التوابين
فان في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين   في المحاسبة والمراقبة
قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم
الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء قدير وقال يومئذ
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها

بينها وبين امدا بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب
البصاير من جملة العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا
لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في
الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر
عند السوال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت
في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته وقال الصادق عليه السلام اذا اراد
احدكم ان لا يسال ربه شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان
للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فتفرع المحاسبة على الامر بالياس من الناس والرجاء من الله يدل على ان الانسان
انما يرجو الناس من دون الله في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان علامة المحاسبات
انما تجعل لذلك وذكر الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل
ان الوقفات هناك انما تكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لم يحتج
الى تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وورد
في الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل
وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال ولا ياوي
الى عمران ولا ياكل ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى
القيمة باهوالها وشدايدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي

الجبار حينئذ

الجبار حينئذ ياخذ نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها مبعوث وفي غمراتها مسؤول قال الله
عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين معنى المحاسبة
ان يطالب نفسه اولا بالفرايض التي هي بمنزلة راس المال فان اداها على وجهها شكر الله
عز وجل ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء فان اداها ناقصة
كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعتابها وتعنيفها و
معاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش
في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن
في شيء منها لا يغبن فينبغي ان يتقي غايلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة
فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب
ما سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده
واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب
على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق منه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له
الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على
قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها بالغرامة او
على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب
عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء قال الكاظم عليه السلام
ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله
منها وتاب اليه وقال الباقر عليه السلام لا يغرنك الناس من نفسك فان الامر يصل

اليك دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك فاحسن فاني لم ار
شيئا احسن دركا ولا اسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب قديم وقال الصادق عليه السلام ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له يا رسول الله اوصني فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله فهل انت
مستوص ان انا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله فاني اوصيك اذا انت هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك
رشدا فامضه وان يك غيا فانته عنه وهذه الوصية من محاسبة النفس بل هي راسها
ينبغي للعبد ان يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة فانها ان تركت
طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة وسكون وذلك بان يعلم بان الله مطلع على الضماير
عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه
مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك قال الله تعالى الم يعلم بان
الله يرى وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال النبي صلى الله عليه وآله الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف فقامت
فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة
الملك الجبار وفي الحديث القدسي انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي
ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انحنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم
بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب
فهذه المعرفة اذا صارت يقينا يعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك
على القلب استجرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه والموقنون
بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احديهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم

والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا
يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله سائر
الهموم والثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله
على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم
على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء
من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون
به في القيمة فانهم يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة ثم العبد
لا يخلو اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال
ومراعاة الادب وحراستها عن الافات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والا
قلاع والحياء والاشتغال بالتفكر ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان يقعد
مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلا الى غير ذلك فكل ذلك داخل في
المراقبة وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلية فان لكل
ذلك حدود لا بد من مراعاتها عاها بدوام المراقبة ومن

نسخه جهت سینه ۲۶۷
و بادگرفتن سینه

[illegible] ۴ م
صمغ عربی ۲ م
بهدانه ۴ م

صبر زرد ۲ م
مر مکی ۲ م

بقدر نخود حب سازند
صبح دو دانه شب دو دانه